رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

١٢٨٧٥

جامعة الأزهر

كلية أصول الدين القاهرة

قسم العقيدة والفلسفة

الهندوسية

نشأتها وعقائدها وتشريعاتها

تأليف الدكتور

عبد الله محيي عزب

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

مقدمـــة

الحمد لله الذي هدانا إلى نعمة الإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد بن عبد الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي أخرجنا الله به من الظلمات والضلال، وتعدد الآلهة من الأوثان والحيوان ، إلى نور الإيمان، وعبادة الواحد الديان.

وبعـــد

فهذه دراسة في الديانة الهندوسية أضعها بين يدي القارئ ليتبين فضل الله عليه بهدايته إلى الإسلام، ويعرف قدر رسوله ــ صلى الله عيه وسلم ــ الذي أنقذه الله به من ظلمات الشرك، وعبادة الأصنام والأوثان، إلى نور الإيمان والإسلام، وهذه الدراسة تكشف للإنسان أن العقل البشري بمفرده قاصر عن الوصول إلى الحقائق الإلهية، أو المسائل العقدية أو التشريعية، كما حدث من عجز العقل الهندوسي، حينما سار بمفرده بعيدا عن الوحي الإلهي، وبذلك فقد وعيه، واتخذ آلهة من الأصنام والحيوان والبشر والظواهر الطبيعية كالشمس والسماء والنار، فأصبح يعبد هذه المخلوقات ويعتقد فيها أنها تجلب له المنافع وتدفع عنه المضار، ولا يزال الهندوس يعبدونها ويتقربون إليها حتى في عصرنا الحديث، الذي صعد فيه الإنسان إلى سطح القمر.

ووصول الإنسان إلى هذا الكوكب وسيره عليه بأقدامه معناه أن الإنسان هو السيد، وأن القمر والشمس وغيرهما من الكواكب التي تُعبد؛ سخرها الله لخدمة الإنسان، فكيف يعقل أن يَعبُد الإنسان كوكبا داسَ عليه واحد من بني البشر بأقدامه؟

والذي يعجب له المرء أن تجد إنسانا متخصصاً في الذرة أو في الطب، ومع هذا يعبد الشمس أو القمر أو البقر، ويقدم لها القرابين، وهنا يظهر للعاقل حقيقة العقل البشري حينما ينفرد بالبحث في المسائل الإلهية، فيحمد الله على نعمة الرسل، ويخر لله ساجداً مسبحاً بحمده، مقدسا لجلاله على ما توصل إليه من هدي عن طريق الرسل.

وقد تناولت في هذا البحث نبذة عن جغرافية الهند وتاريخه، كما تناولت مسألة الألوهية في الديانة الهندوسية، وتعدد الآلهة عندهم، وعقيدتهم في التثليث، ومسألة خلق العالم، وإنكارهم للنبوة، والتناسخ والكارما، ووحدة الوجود،

ونظام الطبقات، وأهم المسائل التشريعية في هذه الديانة، والله أسأل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه ،﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾وأدعو الله عز وجل، أن يهديني إلى سبيل الرشاد .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

نبذة عن جغرافية الهند

الهند يقصد بها قديما البلاد الواسعة التي تشمل دولتي باكستان والهند الآن، والهند جزيرة فسيحة الأرجاء يبلغ اتساعها ما يقرب من مليوني ميل مربع، فهي ثلثا الولايات المتحدة في مساحتها، وهي أكبر من بريطانيا العظمى- عشرين مرة، حيث تبلغ مساحتها ١ر٢٢١ر٠٧٢ وهذا الكم يعادل مساحة دول أوروبا مجتمعة باستثناء روسيا، والهند، موقعها مهم على خريطة العالم، وهي شبه جزيرة تشبه في منظرها قارة إفريقية بوجه عام، فهي عبارة عن مثلث غير منتظم الأضلاع قاعدته إلى أعلى، ورأسه إلى أسفل، وقاعدته جبال هملايا الشامخة، ورأسه رأس كوماري، Capc comarin والهند بلاد مقفلة كما يسميها الباحثون ، فضلعا المثلث في الشرق والغرب يدور حولهما البحر، أما قاعدة المثلث في الشمال فتحيط بها سلسلة جبال الهملايا[١]، وجبال سليمان ويحتضنها نهران عظيمان أحدهما نهر الاندوس (السند) وينبع من جبال

١ ــ ومعناها بيت الثلج

الهملايا ،ويصب في خليج العرب ، بعد أن يتصل بأنهار البنجاب(الأنهار الخمسة).

والآخر نهر كنكا أو نهر الكنج، وهو ينبع أيضاً من جبال الهملايا، ويصب في خليج البنغال بعد أن يتصل بنهر براهما بوترا المقدس [١]، ويشق منتصف الهند سلسلة من الجبال والأدغال تبدأ من الغرب ، وتسير حتى قرب الساحل الشرقي، ومن نهر الاندوس (السند [٢]).

ومن هذا النهر اشتق اسم الهند ، وظهرت كلمة إند وسند ، ومعناهما الأرض التي تقع فيما وراء الاندوس، وسمي سكان هذه البلاد : الهنود أو الهندوس، كما أصبحت بلادهم تعرف بالهندوستان [٣]، وعن تسمية الهند يقول غوستاف لوبون :" يري الغربيون أن نهر السند (إندوس) أعار من اسمه اسما للبلاد الحافلة بالأسرار الواقعة فيما وراءه"[٤]

ويؤكد هذه التسمية ول ديورانت، حيث يقول بعد حديثه عن نهر السند :"واسمه مشتق من اللفظة الإقليمية التي معناها "نهر" (وهي سندو)، وقد حورها الفرس إلى كلمة "هندو" ثم أطلقوها على الهند الشمالية كلها في كلمتهم "هندوستان" (أي بلاد الأنهار)، ومن هذه الكلمة الفارسية "هندو" نحت الإغريق الغزاة كلمة "الهند" وهي التي بقيت لنا إلى اليوم[٥].

ويجاور الهند من اليسار فارس، وهي تشبها شبها قويا في أهلها ولغتها وآلهتها، فإذا ما تتبعت الحدود الشمالية متجهاً نحو الشرق، وقعت على أفغانستان، حيث ترى "قندهار"، وهي "جاندهار" قديماً، وإلى الشمال ترى "كابل" التي أغار منها المسلمون والمغول تلك الإغارات الدموية التي مكنتهم من الهند مدى ألف عام، وإلى الطرف الشمالي من الهند مباشرة يقع إقليم كشمير" [٦].

١ ــ راجع قصة الحضارة ول ديورانت جـ٣/صـ ٩ ط، مكتبة الأسرة ، ترجمة د/ زكي نجيب محمود ، ومحمد بدران، وأديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤ | ٢٣ ط مكتبة النهضة المصرية ط التاسعة ١٩٩٣ م .

٢ ــ المرجع السابق نفس الجزء والصفحة

٣ ــ المرجع السابق جـ٤ / صـ٢٥، وانظر تاريخ الإسلام في الهند د | عبدالمنعم النمر صـ٢ ط دار العهد الجديد للطباعة

٤ ــ انظر حضارة الهند د / غوستاف لوبون ، صـ ٢٥ ، طبع مطبعة در إحياء الكتب العربية ، ط أولى سنة ١٣٦٧ــ ١٩٤٨ م .

٥ راجع قصة الحضارة ، ول ديورانت، جـ٣ /صـ ١١ وما بعدها.

٦ ، المرجع السابق جـ٣ /صـ : ١٢ وما بعدها.

والهند بلاد العجائب والمفارقات، فهي تمتاز بخصوبة أوديتها، وتعدد نباتاتها، وكثافة غاباتها، وتعدد مسالكها ،وتباين أجوائها ومناخها، فيها كل الأجواء بسبب اتساعها، وتفاوت ارتفاع بقاعها، فبينما يكون الحر شديد للغاية في سواحل ملبار، وكور، ومندل، وسهول البنجاب، تري ربيعاً ساحراً في قمم بعض الجبال، وثلوجاً تغطي شواهق همالايا، وبينما يغمر الفيضان بعض الأرض، نرى مناطق أخري أعيا أهلها الجفاف وطلب السقيا، وبينما ترى الصحاري الجرداء والأرض القاحلة؛ إذ بك ترى الغابات الكثيفة والمروج الخضراء والمزارع الفينانة[1] يقول الدكتور غلاب في المفارقات الموجودة في طقس الهند :"أنبأني أحد الذين أقاموا في هذه البلاد أنه قد يشكو من شدة الحرارة التي يحس بها في جنبه الأسفل الذي يلي الفراش، بينما يألم أشد الألم من الرطوبة التي تصب على جنبه الأعلى"[2]، وهذا يدل على المفارقات والغرابة في طقس هذه البلاد.

نبذة عن تاريخ الهند وحضارته

في الزمن الماضي كان المؤرخون يفترضون بل ويقررون أن الحضارة بدأت من بلاد اليونان، وأن الهند كانت غابة وحشية متخلفة حتى هاجر إليها "الآريون" ليحملوا معهم الفنون والعلوم إلى شبه جزيرة وحشية يكتنفها ظلام الليل، لكن تلك الافتراضات التي تعطينا صورة مظلمة وقاتمة عن الهند؛ قد أفسدها الأبحاث الحديثة، بل وأثبتت لنا نقيضها، وهو أن الهند مركز من مراكز الحضارة القديمة في العالم تضارع حضارة مصر، والصين، وآشور، وبابل، و ذلك في الشئون الصناعية والزراعية، والاجتماعية والمعمارية، وذلك قبل الميلاد بحوالي ثلاثة آلاف سنة، أي قبل الغزو الآري بحوالي ألف وخمسمائة سنة تقريباً، ويؤكد هذا أنه في سنة ١٩٢٤ م ارتجت دنيا العلم الجديد مرة أخري بأنباء جاءتنا من الهند، إذ أعلن "سيرجون مارشال" أن أعوانه الهنود "- قد اكتشفوا عند "موهنجو-دارو" على الضفة الغربية من السند الأدنى- آثاراً من مدنية يبدو أنها أقدم عهداً من أية مدنية أخري يعرفها المؤرخون، بعد أن أزيلت طبقة من الأرض عن أربع مدن أو خمس، بعضها فوق بعض طبقات، فيها مئات من المنازل والدكاكين بنيت بالآجر بناءً متيناً، واصطفت على امتداد طرق واسعة حيناً، وحارات ضيقة حيناً آخر، يقول سير جون" تؤيد هذه

[1] انظر حضارة الهند :د/ غوستاف لوبون ، صـ ٢٠

[2] انظر الفلسفة الشـــرقية د/ إ غ ب ص ٨٦ مطبعة البيت الأخضر سنة ٣٨ ٩ ١م.

الكشوف قيام حياة مدنية بالغة الرقي، في السند ....خلال الألف الرابعة والثالثة من السنين قبل الميلاد، ووجود آبار وحمامات، ونظام دقيق للصرف في كثير من هذه المنازل، يدل على حالة اجتماعية في حياة أهل تلك المدن تساوي على الأقل ما وجدناه في "سومر"، وتفوق ما كان سائداً في العصر نفسه في بابل ومصر.. وحتى "أور" لا تضارع بمنازلها من حيث البناء، منازل موهنجو-دارو"وبين الموجودات في هذه الأماكن آنية منزلية، وأدوات للزينة، وخزف مطلي، وبغير طلاء، صاغه الإنسان بيده في بعض الحالات، وبالعجلة في بعضها الآخر، وتماثيل من الخزف، وزهر اللعب، وشطرنج، ونقود أقدم من أي نقود وجدناها من قبل، وأكثر من ألف ختم ، معظمها محفور ومكتوب بكتابة تصويرية نجهلها، وخزف مزخرف من الطراز الأول، وحفر على الحجر أجود مما وجدناه في سومر، وأسلحة وأدوات من النحاس، ونموذج نحاسي لعربة ذات عجلتين (وهي من أقدم ما لدينا من أمثلة للعربة ذات العجلات) وأساور وأقراط وعقود، وغيرها من الحلي المصنوع من الذهب والفضة صناعة- كما يقول مارشال- "بلغت من دقة الإتقان، ومهارة الصقل حداً يجعلها صالحة للعرض عند صائغ في شارع بُند" [1] .

ومن النص السابق يتضح لنا أن موهنجو- دارو" تمثل أقدم ما كشف عنه الإنسان من مدنيات، كما يعتقد "مارشال"، لكن إخراج ما تكنه الهند في جوفها قد بدأ قريبا، وربما لو نقبت تربة الهند كما نقبت تربة مصر، فربما نجد هناك مَدَنية أقدم من المدنية التي ازدهرت في مصر.

أضف إلى هذا أن للهند قبل غزو الآريين من العقائد الدينية ما يمثل كل مراحل العقيدة؛ من الوثنية البربرية إلى أدق عقيدة في وحدة الوجود وأكثرها روحانية، ولها من الفلاسفة من عزفوا مئات الأنغام على وتر التوحيد، ومنها من العلماء الذين تقدموا بالفلك منذ ثلاثة آلاف عام، ويسودها دستور ديمقراطي لا نستطيع أن نتعقبه إلى أصوله الأولى في القرى، كما سادها في العواصم حكام حكماء خيّرون، مثل "أشوكا" و"أكبر"

[1] قصة الحضارة ، ول ديورانت جـ٣ /صـــ ١٦ وما بعدها ، والمراد بشارع بنـد، شـارع في لندن مشهور بجودة معروضاته في يومنا هذا

وأنشد لها من الشعراء من تغنى لهم بملاحم عظمى تكاد تعادل هومر في قدم العهد[١].

لكن التاريخ الواضح للهند ارتبط بالعهد الآري أي من بعد غزو الآريين للهند في القرن الخامس عشر قبل ميلاد المسيح — عليه السلام — والهند بلاد مغلقة، إذ تحيط بها البحار والجبال، ويصعب اقتحامها منهما في ذلك الوقت، إلا أن هناك معبرين كان كلٌ منهما منفذاً سلكته أجناس من البشر إلى الهند، ويقع أحد هذين المعبرين في شرقي جبال الهملايا عند وادي نهر برهما بوترا، ويسمى الباب الشرقي، ويقع المنفذ الآخر غربي هذه الجبال، ويسمى الباب الغربي، ومن هذين البابين اقتحمت الهند عدة مرات بأجناس مختلفة[٢]، ولاختلاف الأجناس التي اقتحمت الهند، واختلاف الأجواء فيها، اختلف تبعاً لذلك ألوان وأشكال سكان الهند، فمن ناحية الجنوب نجد قوماً سود البشرة أنوفهم عريضة، فإذا سرنا نحو الشمال وجدنا لون السكان هو اللون القمحي، وهو الغالب، فإذا وصلنا نهاية الشمال وجدنا السكان يمتازون ببياض البشرة كما في كشمير[٣].

ومن الباب الشرقي دخلت الشعوب (التورانيون) أفواجاً منذ آلاف السنين وقد فر من وجهها بعض السكان الأصليين، واحتموا بقمم الجبال، أما أغلب السكان الأصليين فقد ارتبطوا بالزاحفين، ونتج في الجنسين — أي التورانيين والسكان الأصليين ألوانٌ من العلاقات أنتجت ما أصبح بعد فترة من الزمان ما يعرف بالسكان الأصليين كذلك، ونتج عن هذا المجتمع الجديد جماعتان : أحدهما يغلب فيه الدم التوراني والثانية يغلب فيها الدم الهندي، أما الذين أووا إلى قمم الجبال، فقد أطلق عليهم "زنوج الهند"[٤].

ومن الباب الغربي اقتحم الآريون بلاد الهند، وبهم ارتبط تاريخ الهند القديم وأصل الآريين (الجنس الأبيض)، ومن الراجح كما تشير المصادر أن الزحف الآري على الهند كان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وقد حارب الآريون الممالك التي كانت مزيجاً من التورانيين

---

١ ـــ المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، وانظر الفلسفة الشرقية صـ ٩ وما بعدها.

٢ ـــ أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤ صـ٢٦.

٣ ـــ المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، وانظر تاريخ الإسلام في الهند، د عبد المنعم النمر صـ ٢١

٤ ـــ أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٢٧.

وسكان الهند الأصليين، ولم يتصل الآريون بسكان الهند بطريق التزاوج، وذلك لأنهم كانت لهم قواعد في الزواج سواءً في حدود العشيرة أو خارجها، بمعنى أنه يحرم الزواج خارج حدود جنسهم، كما يحرم داخل حدود الأقرباء الأقربين، ومن هذه القواعد استمد الهندوس أميز ما يميزهم من أنظمة اجتماعية، وذلك أن الآريين عندما رأوا أنفسهم قلة عددية بالنسبة إلى من أخضعوهم، ومن يعدُّونهم أحط منهم منزلة، أيقنوا أنهم بغير تقييد التزاوج بينهم وبين هؤلاء فسرعان ما تضيع ذاتيتهم العنصرية، بحيث لا يمضي قرن واحد أو قرنان من الزمان حتى تهضمهم الأغلبية في ثناياها، وتمتصهم في جسمها امتصاصاً، وإذن فقد كان أول تقسيم للطبقات قائماً على أساس اللون لا على أساس الحالة الاجتماعية، فتفرّق الناس فريقين : فريق الأنوف الطويلة، وفريق الأنوف العريضة، وبذلك ميزوا بين الآريين من جهة، وغيرهم من التورانين وسكان الهند الأصليين من جهة أخري، ولم تكن التفرقة عندئذ أكثر من تنظيم الزواج بحيث يحرم خارج حدود الجماعة[١].

وقد أثر كل من التورانيين والآريين في سكان الهند الأصليين، فالتورانيون أثروا فيهم من حيث العوامل الوراثية في الشكل والبدانة والصفات التي يحملها الجسم ، والآريون أثروا في ثقافتهم وعاداتهم وأخلاقهم ومدنيتهم، وهذا ما قرره غوستاف لبون عند حديثه عن مدى نفوذ التورانيين والآريين على الهند بقوله: "والتورانيون أشد الغزاة تحويلاً لعروق الهند من الناحية الجسمانية، والآريون من الناحية المدنية، فمن التورانيين أخذ سكان الهند نسب أجسامهم وتقاطيع وجوههم، وعن الآريين أخذ سكان الهند لغتهم، ودينهم، وقوانينهم، وسجاياهم، وطبائعهم، ولم يتوار الآريون بالامتزاج في الهند بسرعة كما توارى العرب في مصر، لأن عدم التزاوج، ثم نظام الطوائف الحاسم حال دون امتزاجهم في الهند بالتورانين المقهورين زمناً طويلاً ، ولكن الامتزاج على كل حال تم. بتعاقب القرون"[٢].

وبالتقاء الآريين والتورانيين مع سكان الهند الأصليين بدأت الطبقات في الهند، وأصبحت ذات أهمية كبرى في تاريخ هذه البلاد، فمن الآريين كانت

---

١ ـــ راجع قصة الحضارة ، ول ديورانت جـ ١: صـ : ٦٧٥.

٢ ـــ حضارة الهند لغوستاف لوبون ص٢٦١

طبقة رجال الدين (البراهمة Brahaman) وطبقة المحاربين الكشتريا (Kastria) ومن التورانيين تكونت طبقة التجار والصناع (vaisya) أما الهنود الذين اتصلوا بالتورانيين فلم يدخلوا التقسيم في أول الأمر، ولكن الحضارة الآرية امتدت إلى بعضهم بمرور الزمن، فأوجد الآريون منهم الطبقة الرابعة، وجعلوها طبقة الخدم والعبيد" الشودر" (Sudra) أما الذين لم تمتد لهم الحضارة الآرية من السكان الأصليين، لأنهم انعزلوا عن الفاتحين فقد بقوا بعيدين عن التقسيم، وظلوا طريدي المجتمع، أو منبوذين(Ontcastes) [١]

وتبعا لاختلاف الأجناس والطبقات والألوان في بلاد الهند تعددت اللغات، وقد ذكر غوستاف لوبون أن في الهند ٢٤٠ لغة ونحو ٣٠٠ لهجة ماعدا اللغة الفارسية، والبهلوية، والصينية، والإنجليزية، والسنسكريتيه، والأخيرة هي لغة كتب الهند القديمة التي لايعرفها إلا قلة من البراهمة لمعرفة الكتب المقدسة[٢] .

ويوجد بالهند لغة أخرى تكونت في القرن الخامس عشر الميلادي يسميها غوستاف لوبون الهندوستانية وأصلها آري، ثم دخلت عليها كلمات كثيرة من اللغات الفارسية والعربية والهندية والتركية، وتسمى الآن اللغة الأوردية و"أردوا" معسكر، أي أن اللغة الأوردية كانت لغة العسكر، لغة الجنود الفاتحين الذين اضطروا إلى خلط عدة لغات بعضها ببعض، لفظ من هنا ولفظ من هناك ليستطيعوا التفاهم، وقد أخذت هذه اللغة تنمو حتى صارت اللغة الرسمية للدولة المغولية، وصارت لغة عدد كبير من الشعب، وهذه اللغة بعد استقلال الهند قد نُحيت عن مكانتها الرسمية، وأحلت الحكومة محلها اللغة الهندية[٣]، وفي الهند ديانات متعددة، أهمها وأكثرها انتشاراً الديانة الهندوسية، وسوف نتناولها بالدراسة في الصفحات التالية .

الأديان في الهند

لا يستطيع باحث مدقق أن يصدر حكما جازما على الديانة التي سبقت الغزو الآري للهند، وذلك لأن العلماء تناقضت آراؤهم وتضاربت حول هذا الموضوع، حيث قرر فريق منهم أن

---

١ — The peoples and religions of India p ٣١٤ نقلاً عن أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤/٢٩ومابعدها

٢ — انظر حضارة الهند د / غوستاف لوبون صـ ٤٧٧.

٣ — راجع تاريخ الإسلام في الهند د/ عبد المنعم النمر صـ ٢٢.

الوطنيين الأولين كانوا أرقى عقلية، وأعظم مدنية؛ من الآريين الفاتحين، ويذهب فريق آخر إلى العكس، فيقرر أنهم كانوا بطوناً متناثرة وقبائل متفرقة، لا تربطهم مدنية اجتماعية، ولا تجمعهم وحدة سياسية، ولكن الذي لاشك فيه أنهم كانوا يدينون بدينات قبل الغزو الآري، وقد اكتشف من ديانتهم أنهم كانوا يعبدون إلهات إناثاً، لأنهم يعتقدون أنهن قادرات على إيجاد وإبادة الأناسي والحيوانات، وأنهن يحمين أكثر الناس تقديساً لهن، وأن منْ لا ينلن منه القرابين والضحايا يكن معرضاً هو وحيواناته للدمار، وقد اكتشف في الهند تمثال يرجع تاريخه إلى تلك العصور القديمة، وهو يشبه آلهة الهند المحدثة، مما يدل على أن هذه الأخيرة قد تأثرت تأثراً واضحا بالديانات الأولى[١] .

وكان لسكان الهند القدامى ديانات أخرى وجدها الآريين بعد غزوهم للهند، منها تلك الديانة التي وجدها الغزاة الآريون بين " الناجا[٢] " والتي لا تزال قائمة في الأجناس البشرية البدائية، وهي عبادة روحانية طموطمية لأرواح كثيرة، تسكن الصخور، والحيوان، والأشجار، ومجاري الماء — مثل الأنهار وغيرها، والجبال، والنجوم، وكانت الثعابين والأفاعي مقدسات— إذ كانت آلهة تعبد، ومثلاً عليا تنشد في قواها الجنسية العارمة، وهناك من آلهة الهنود القدماء ما هبط مع الزمن إلى هنود العصور التاريخية، مثل "ناجا"[٣] الإله الأفعوان، و "هاتومان" الإله القرد، و "ناندس" الثور المقدس، و "الياكشا" أو الآلهة من الأشجار [٤]، وقد عرف الهنود عبادة، قوى الطبيعة، وعبد بعضهم عضو التلقيح معتقدين أنه سبب الخلق[٥]، وقد التقيت بأحدهم، في هذا العصر، وناقشته في الإله الذي يعبده، وقد صرح لي أنه يعبد عضو التلقيح الخاص بأمه، فهو يزعم

---

١ انظر الفلسفة الشرقية: د/ غلاب صـ ٩٢ .

٢ — وهو اسم لثعبان أو حية ضخمة .

٣ — هي الأفعى التي تؤدي عضة واحدة منها إلى موت سريع، واسمها ناجا، كان لها عندهم قدسية خاصة؛ وترى الناس في كثير من أجزاء الهند يقيمون كلّ عام حفلاً دينياً تكريماً للأفاعي، ويقدّمون العطايا من اللبن والموز لأفاعي الناجا عند مداخل جحورها.

٤ انظر قصة الحضارة ، ول ديورانت ، جـ٣ /صـ : ٣٠ .

٥ — راجع أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤/٣٣

ويعتقد أنه السبب في وجوده في هذه الحياة، وقد وضح الشيخ عبد المنعم النمر أن بعض الهندوس اتخذوا عضوي التلقيح رمزا للإله شيفا الذي يعبدونه[1].

وعبد الهندوس الحيوانات، وعبادتهم لها نشأت عن اعتقادهم بأن الله يتجلى في بعض الأحياء فيحل فيها، فيحتمل حلوله في هذا الحيوان أو ذاك.

وقد كان للبقرة من بين الحيوانات قدسية خاصة، ومكانة سامية، ولها تماثيل في المعابد والمنازل والميادين، ولا يجوز للهندوكي أن يمسها بأذى، أو يذبحها، ولا يأكلون لحمها، ويأكلون اللبن فقط، ويستخدمون روثها وقوداً، أمّا بولها فهو عندهم للعلاج أحياناً كالدواء، ويضعه الكهنة في أوعية، ويرشونه على الجمهور بعد انتهاء طقوسهم في المعابد، وتنتقل البقرة عندهم في شوارع المدن حيث تشاء، وبحرية تامة، لا يزعجها أحد، وقد وقع الكثير من حوادث القطارات والسير في الهند، نتيجة توقف سريع إكراماً لبقرة، وإذا ماتت دفنت بطقوس دينية، وهي من المعبودات الهندية التي لم تضعف قداستها مع مر السنين، وتوالي القرون، ولا تزال تحتفظ بقدسيتها حتى الآن، وهم في صلاتهم إلى البقرة يقولون لها ما ترجمته بالعربية " أيتها البقرة المقدسة، لك التمجيد والدعاء في كل مظهر تظهرين به، أنتي تدرين اللبن في الفجر، وعند الغسق، أو عجلاً صغيراً، أو ثوراً كبيراً، فلنعد لك مكاناً واسعاً نظيفاً يليق بك، وماء نقيا لتشربيه، لعلك تعينين بنا بالسعادة"[2].

وأقدم آلهة ذكرتها "أسفار الفيدا"[3] قوى الطبيعة وعناصرها: فيعبدون السماء، ويسمى إله السماء إندرا، وهو من أكثر الآلهة ذكراً لدى الآريين، ويصوروون هذا الإله في صورة محارب واقف على مركبة حرب، كأنه زعيم عشيرة آرية، ويعبدون النار، وإله النار يسمى بأغني، أو"آجني" وهو موجب الآلهة، وموجب الحياة الكونية، ويعبدون الضوء، والريح والماء، فكان ديوس، أول الأمر هو السماء نفسها، كذلك اللفظة السنسكريتية التي معناها مقدس، كانت

[1] راجع تاريخ الإسلام في الهند .د/ عبدا لمنعم النمر صـ ٤٤.

[2] انظر ٧. Bhavans journail، نقلاً عن أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤/ ٣٤

[3] هو الكتاب المقدس عند الآريين.

في أصلها تعني "اللامع" فقط، ثم أدت هذه النزعة الشعرية التي أباحت لهم أن يخلقوا لأنفسهم كل هذا العدد من الآلهة، إلى تشخيص هذه العناصر الطبيعية، فمثلاً جعلوا السماء أباً، وجعلوا الأرض أماً، وأطلقوا عليها اسم "بريثيفي" ، وكان النبات هو ثمرة التقائهما بواسطة المطر، وكان المطر هو الإله "بارجانيا"، وإله الزوابع والأعاصير وتوزيع الأمطار يسمى "الماروت" وإله الريح يسمى "فايو" ، وأما إن كانت الريح مهلكة فهي "رودْرا" ، والفجر "أوشاس"، ومجرى المحراث في الحقل كان اسمه "سيتا"، والشمس "سوريا"، وتعبد كمصدر للانتعاش باسم "ساوتري" وتعبد لتأثيرها في نمو الحشائش والنبات باسم " وشنو" وتعبد كبنت السماء باسم "مترا" أو "فشنو"؛ والنبات المقدس المسمى "سوما" ، والذي كان عصيره مقدساً ومسكراً للآلهة والناس معاً، وسوما يخلد الآلهة، ويهب للناس القوة والنشاط [1].

وقد اختصت الهند بكثرة الأديان والمعتقدات، وقلما تجد هندوسيا لا يعبد عدداً من الآلهة، فالعالم عنده زاخر بها، حتى إنه يصلى للنمر الذي يفترس أنعامه، ولجسر الخط الحديدي الذي يصنعه الأوربي، وللأوربي نفسه عند الاقتضاء[2].

ويعلق بعض الكتاب على كثرة الآلهة في الهند بقوله : "إن هذه الديانة توزع الإلهة حسب المناطق، وحسب الأعمال التي تناط بهذه الآلهة، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله"[3].

ومما سبق يتبين أن الهند كان فيها أديان كثيرة ومتعددة، وكان أشهر الأديان وأكثرها انتشاراً الهندوسية، بل إنما الدين العام الذي حوي غالبية الهنود، أوكلهم ، وإذا تمردوا عليه أحيانا، أو تمرد بعضهم عاد المتمردون بعد وقت قصير، أو طويل إلى رحابه، وكتاب الهندوس المقدس يسمي بالفيدا أو الويدا، وهذا الكتاب يشتمل على مبادئ الفكر الهندي في أكثر مراحله.

[1] انظر أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ ٣٧/٤ :وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت جـ١: صـ ٦٨٤، وانظر حضارة الهند ، د/ غوستاف لوبون صـ ٢٨١ .

[2] حضارة الهند لغوستاف لوبون ص٢٦٨

[3] راجع أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ ٣٧/٤.

الديانة الهندوسية

الهندوسية ويطلق عليها أيضاً اسم الهندوكية، وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، قامت هذه الديانة على أنقاض الفيدية، وتشربت أفكارها، وتسلمت عن طريقها الملامح الهندية القديمة، وهذه الديانة عبارة عن مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد، وهي تضم كذلك مجموعة من القيم الروحية والأخلاقية والسلوكية، إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية، متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله، كما ذكرنا، وتشكلت هذه الديانة عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد، حينما جاء الغزاة الآريون مارين في طريقهم بشعوب كثيرة فتأثرت معتقداتهم بالبلاد التي مروا بها، وخاصة الإيرانيين، وكان يوجد بالهند السكان الأصليين من الزنوج، وغيرهم من التورانيين الذين دخلوا الهند من الباب الشرقي كما تقدم والذين كانت لهم أفكار ومعتقدات بدائية، فلما وصل الآريون إلى الهند، واستقروا فيها حصل تمازج بين المعتقدات التي أتوا بها، ومعتقدات الهنود الأصليين، ومن هذا المزيج في المعتقدات تولدت الهندوسية، كدين فيه أفكار بدائية من عبادة قوى الطبيعة، والأجداد، والبقر بشكل خاص كما ذكرنا.

وأطلق على هذه الديانة اسم البرهمية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد، نسبة إلى براهما، وأتباع هذه الديانة قالوا بعبادة برهما.

مؤسس الهندوسية

لا يوجد للديانة الهندوسية مؤسس معين، يمكن الرجوع إليه كمصدر لتعاليمها وأحكامها، فالهندوسية دين متطور، أكثر تعليماته تولدت من تنظيم الآريين لحياتهم جيلاً بعد جيل بعد ما وفدوا على الهند وتغلبوا على سكانها الأصليين، واستأثروا دونهم بتنظيم المجتمع." والهندوسية أسلوب في الحياة أكثر مما هي مجموعة من العقائد والمعتقدات، تاريخها يوضح استيعابها لشتى المعتقدات والفرائض والسنن، وليست لها صيغ محدودة المعالم، ولذا تشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأحجار والأشجار، وما يرتفع إلى التجريدات الفلسفية الدقيقة "(١).

---

١ — أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤/٤٤

والموضوعات الجديرة بالبحث في الهندوسية

١ — الكتب المقدسة في الديانة الهندوسية.

٢ — الإلوهية في الفكر الهندوسي.

٣ التثليث

٤ عقيدة خلق العالم والكائنات

٥ – عقيدة النبوة في الديانة الهندوسية

٦ – معتقداتهم في الكارما، وتناسخ الأرواح، والانطلاق، ووحدة الوجود:

٧ — نظام الطبقات.

٨— التشريع في الديانة الهندوسية.

الكتب المقدسة للديانة الهندوسية

للهندوسية عدد هائل من الكتب جاوزت المئات بل الألوف، وهذه الكتب كما تشير المصادر، عسيرة الفهم غريبة اللغة، وهي غالبا تشتمل على أفكار بدائية، وأساليب ركيكة، وقد ألفت كتب كثيرة لشرحها وأخرى لاختصار تلك الشروح، وكلها مقدسة عندهم، وأهمها وأشهرها كتاب الويدا، وكتاب قوانين منو، وكتب أخرى سوف نشير لأهمها في الديانة الهندوسية.

أولاً كتاب الفيدا أو الويدا

و الفيدا veda: كلمة سنسكريتية معناها الحكمة والمعرفة، أو كتاب المعرفة. أو العلم عن طريق الدين بكل ماهو مجهول، والفيدا أشهر كتب الهندوس"والفيدات" يطلقها الهندوس على كل تراثهم المقدس الذي ورثوه من أول مراحل تاريخهم، فيه أخبار دينهم وسياستهم وحلهم وترحالهم، وحضارتهم وثقافتهم، ومعيشتهم ومساكنهم ، ومطاعمهم ومشاربهم، ومهنهم، وترى فيه مدارج للحياة العقلية من سذاجة البدو إلى شعور الفلاسفة، فتوجد في الفيدا أدعية ابتدائية تنتهي بالارتياب، وإلوهية ترتقي إلى وحدة الوجود،(١).

وهي تتألف من أربعة كتب هي:

١- كتاب"ويج ويدا" وقد يسمى " رك بيد" وهو معرفة ترانيم الثناء، وهو أشهر الكتب الأربعة، وأهمها وأشملها ،ويشتمل على ١٠١٧ أنشودة دينية، وقيل ١٠٢٨ ، من أناشيد الثناء، يتوجه بها الناس إلى مختلف معبوداتهم، مثل الشمس، والقمر، والسماء، والنجوم، والريح، والمطر، والنار، والفجر، والأرض، وغيرها، ومعظم الأناشيد

---

١ — راجع أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤/٤٦، و قصة الحضارة جـ٣ صـ ٦٩١.

دعوات واقعية، وضعت ليتضرع بها أتباعها أمام الآلهة، أو يتغنون بها عن الآلهة، وأشهر الآلهة الذين ورد ذكرهم فيها، هو إله الآلهة إندرا، ثم يأتي بعده في المنزلة الإله أغني إله النار، وراعي الأسرة، ثم الإله فارونا، وهو السماء المحيطة بالأرض، فالإله سوريا (الشمس) وغيرهم.

ولا يزال الهنود يتغنون بأناشيد من الريج فيدا يرتلونها في صلواتهم صباحا ومساء، ويتمنون بتلاوتها في حفلات زواجهم(١).

وهذه نماذج من ترانيم أو أناشيد — ريج فيدا مترجمة من السنسكريتية :

(أ) **ترنيمة لإله الشمس وهي:**

يجيء بالشمس جيادها الحمر، فيصل الفجر العظيم الجميل الذي ينعش الجميع بضيائه، وتأتي الآلهة على مركبه فخمة، وتوقظ الإنسان ليقوم بعمل نافع(٢).

(ب) **ترنيمة لإله الأرض قيلت على جثمان زميل سقط صريعاً في ميدان القتال :**

هاأنذا آخذ القوس من يد ميتة
كانت تشدها
لنكسب لنا ملكاً وقوة ومجداً
فأنت هناك، ونحن هاهنا، أعزاء
بأبنائنا الأبطال.
سنهزم كل هجمة يوجهها لنا
الأعداء
اقترب من صدر الأرض آمنا.
هذه الأرض الفسيحة الأرجاء
العطوف بأبنائها
هذه الشابة الناعمة كأنها الصوف
المندوف تحت جنوب الأسخياء.
هاأنذا أضرع إليها أن تصونك من
أيدي الفناء.
انفرجي له أيتها الأرض، ولا تضمي
جسده ضماً ثقيلاً.
كوني له مثوى هيناً، ومجديه بعونك
الشفوق.
فكما تدثر الأم بالثوب ابنها.
كذلك دثري هذا الرجل أيتها
الأرض (٣).

١ — راجع أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤: صـ ٤٦ ، و الفلسفة الشرقية : د/ غلاب صـ ٩٣ وما بعدها ، و قصة الحضارة، ول ديورانت ، جـ٣ /صـ : ٣٨ ، والأسفار المقدسة ، د/ على عبدالواحد وافي صـ ١٧٦ وما بعدها، ط ، نهضة مصر .

٢ — راجع أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤: صـ ٥٠ .

٣ — قصة الحضارة ول ديورانت جـ٣ صـ٤٠

ومن الملاحظ في هذه الترنيمة أن قائلها يتضرع للأرض على اعتبار أنها إله.

٢ — كتاب **ياجور ويدا**، وقد يسمى "باجور"، ويشمل العبادات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين .

٣-كتاب **ساما ويدا** ويسمى " ساما"، ويشمل الأغاني التي ينشدها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية .

٤- كتاب " **أثار ويدا**" ويسمى أتارفا، ويشمل مقالات في السحر والرقى، والتوهمات الخرافية، مصبوغة بالصبغة الهندية القديمة، فالحياة الهندية كما يصورها "أثار فيد" مملوءة بالآثام، والكون حافل بالأغوال والشياطين يخوفون الناس، والآلهة كفت أيديها عن الخير، لم تعد تدفع الشر، ويروى "أثار فيدا" لجوء الناس للخرافات والرقى والسحر ليحموا أنفسهم .

وكل واحد من هذه الفيدات الأربعة، ينقسم إلي أربعة أقسام :

١- "**مانترا**" وقد يسمى "سمهتا" وهو عبارة عن ترانيم، وتمثل سمهتا مذهب الفطرة في التفكير الهندوسي .

٢- "**براهمانا**" وقد يسمى البراهمن، وهو يشمل قواعد الطقوس والدعاء والرقي لهداية الكهنة في مهمتهم. ويشمل الهدايات التي يقدمها البراهمة للمقيمين في بلادهم وبين أهليهم، وأنواع القرابين وتفاصيلها ومواسمها، وتبيان أن إرضاء البراهمة ضروري لقبول القرابين. ويمثل قسم البراهمن مرحلة أقرب إلى التحضر في التفكير الهندوسي.

٣- "**أرانياكا**" وقد يسمى "أرَنْيَك " وهي الصلوات والأدعية التي يتقدم بها الشيوخ أثناء إقامتهم في الكهوف والمغاور وبين الأحراش والغابات، والأرانيك تهدي أمثال هؤلاء الشيوخ إلى أعمال سهلة، يقومون بها بدلاً من القرابين التي أصبحوا يعجزون عن تقديمها.

٤- "**يوبانشاد**" والكلمة مؤلفة من مقطعين "يوبا" ومعناها "بالقرب" و "نشاد" ومعناها "يجلس" ، ومن "الجلوس بالقرب" من المعلم، انتقل معنى الكلمة حتى أصبح يطلق على المذهب الغامض الذي كان يسره المعلم إلى خيرة تلاميذه.

واليوبانشاد هي الأسرار والمشاهدات النفسية للصوفية، الذين مالوا إلى باطن الحياة وتركوا ظاهرها، وفي اليوبانشاد مائة وثمان محاورات مما

جرى بين المعلم وتلاميذه، ألفها كثير من القديسين والحكماء بين عامي ٨٠٠ و ٥٠٠ ق.م ، وهي لا تحتوي على مذهب فلسفي متسق الأجزاء، بل تحتوي على آراء وأفكار ودروس لرجال عدة، كانت الفلسفة والدين عندهم ما يزالان موضوعاً واحداً، وقد حاول هؤلاء الرجال بهذه الآراء أن يفهموا أصل نشأة الكون، وخالقه، وحاولوا أن يفهموا الحقيقة البسيطة الجوهرية التي تكمن وراء كثرة الأشياء الظاهرة، وهذه الأسفار كذلك مليئة بالسخافات والمتناقضات، ولكنها أحياناً أخرى تعرض عليك ما قد تظنه أعمق ما ورد في تاريخ الفلسفة من ضروب التفكير[1].

والناظر إلى هذه الأقسام الأربعة يلاحظ أن القسم **الأول** " السمهتا" تمثل دين الفطرة، أو الفكر البدائي، أما البراهمن فيمثل مذهب القانون ودين الأمة التي تركت البداوة، ولم تتعمق بعد في الحضارة، أما الأرانيك فينقل الفكر من القانون إلى الروح، والبوبانشاد هو مذهب الروح وهو المرتبة العليا في سلسلة الارتقاء الديني[2].

ثانيا- قوانين (مــانو) أو مانافا: وهي وضعت في القرن الثالث قبل الميلاد في العصر الويدي الثاني، وهو عصر انتصار الهندوسية على الإلحاد الذي تمثل في (الجينية والبوذية). وهذه القوانين عبارة عن شرح للويدات يبين معالم الهندوسية ومبادئها وأسسها، وفيها تفصيل للدين البرهمي عقائده، وعباداته ومعاملاته، ونظمه الاجتماعية،والحرب والقوانين المدنية وقوانين العقوبات ونظم التربية والأخلاق، كما تشتمل على تاريخ الكون ونشأته ، وخلق الإنسان، وتقسيم الطبقات في المجتمع الهندوسي.

ثالثا - مهابهارتا: وهذا الكتاب عبارة عن ملحمة هندية تشبه الإلياذة والأوديسة عند اليونان، وهو من الكتب الهندية القليلة التي يعرف مؤلفها و اسمه (وياس) ابن العارف (بوسرا) الذي وضعها سنة ٩٥٠ ق.م وهي تصف حرباً بين أمراء من الأسر المالكة، وقد اشتركت الآلهة في هذه الحرب.

رابعا كيتــــا: وهذا الكتاب يصف حرباً بين أمراء من أسرة ملكية واحدة، وينسب إلى كريشنا وفيه نظرات فلسفية واجتماعية.

خامساً يوجـا واسستها : وهذا الكتاب يحتوي على أربعة وستين ألف بيت، ألفت ابتداء من القرن السادس عبر مرحلة طويلة على أيدي مجموعة من الناس، فيها أمور فلسفية ولاهوتية، ولا يعرف لها مؤلف، شأنها شأن الكثير من الكتب الهندية.

سادساً رامايانــــا: وهو كتاب قديم لا يعرف له مؤلف ولا تاريخ، ويعتني هذا الكتاب بالأفكار السياسية والدستورية، فهو يتحدث عن تكوين مجالس الشورى، وطرق اختيار الملوك وفيه خطب لملك اسمه رامــا[1] وعندهم كتب أخرى كثيرة وهي غالبا شروح لهذه الكتب.

---

[1] ــ المرجع السابق جـ٣ صـ٤٠ وما بعدها ، ويراجع أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤: صـ ٤٦ وما بعدها . والأسفار المقدسة ، د/ على عبد الواحد وافي صـ ١٧٦ وما بعدها.

[2] ــ أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤: صـ٤٨

[1] ــ أديان الهند الكبرى د/ أحمد شـلبي جـ٤: صـ٧٩ وما بعدها ، والأسفار المقدسة ، د/ علـى عبد الواحد وافي صـ ١٨٠ وما بعدها.

الإلوهية في الفكر الهندوسي

الفكر الهندوسي في قضية الإلوهية يشتمل على كثير من التناقضات ففيه تعدد للآلهة كما تقدم؛ من أن الهندوس يعبدون الشمس والبقرة والثعابين، والأرض، والسماء، والنار والماء وقوى الطبيعة المختلفة، بل يعبدون ويقدسون آلاف الآلهة كما تطالعنا المراجع والمصادر.

ومن جهة أخرى نجد بعض النصوص تشير إلى التوحيد الخالص، في الفكر الهندوسي ويمكن إجمال ذلك في رأيين:

الأول

ويمثله البيروني فهو يقسم الهنود في اعتقادهم إلى خواص وعوام، ويفترض أن الخواص موحدون، والعوام وثنيون، فهو يقول في هذا المقام "إنما اختلف اعتقاد الخاص والعام في كل أمة، بسبب أن طباع الخاصة تنازع المعقول، وتقصد التحقيق في الأصول، وطباع العامة تقف عند المحسوس، وتقتنع بالفروع، ولا تروم التدقيق، وخاصة فيما افتدت فيه الآراء، ولم تتفق عليه الأهواء"[2] .

---

[2] ــ تحقيق ما للهند من مقولة صـ ٢٠وما بعدها.

وبعد ذلك بين البيروني اعتقاد الخاصة، بأن معبودهم واحد أزلي، فيقول: واعتقاد الهند في الله سبحانه وتعالى أنه الواحد الأزلي، من غير ابتداء ولا انتهاء، المختار في فعله، القادر الحي المدبر، ثم استشهد على كلامه بنص من كتب الهندوس وهو قال السائل في كتاب باتنجل: " من هذا المعبود الذي ينال التوفيق بعبادته؟

قال المجيب : هو المستغني بأوليته ووحدانيته عن فعل لمكافأة عليه براحة تؤمل وترتجى، أو شدة تخاف وتتقى، والبرئ عن الأفكار؛ لتعاليه عن الأضداد المكروهة، والأنداد المحبوبة، والعالم بذاته سرمداً.... ثم يقول السائل بعد ذلك: فهل له من صفات غير ماذكرت؟

قال المجيب : له العلو التام في القدر؛ لا المكان، فإنه يجل عن التمكن، وهو الخير المحض ، التام الذي يشتاقه كل موجود، وهو العلم الخالص عن دنس السهو والجهل.

قال السائل : أفتصفه بالكلام أم لا؟

قال المجيب : إذا كان عالما فهو لا محالة متكلم .

قال السائل :فإن كان متكلما لأجل علمه فما الفرق بينه وبين العلماء الحكماء الذين تكلموا من أجل علومهم؟

قال المجيب: الفرق بينهم هو الزمان، فإنهم تعلموا فيه وتكلموا بعد أن لم يكونوا عالمين ولا متكلمين، ونقلوا بالكلام علومهم إلى غيرهم، فكلامهم وإفادتهم في زمان، وإذ ليس للأمور الإلهية بالزمان اتصال فالله سبحانه عالم متكلم في الأزل، وهو الذي كلم "براهم" وغيره من الأوائل على أنحاء شتى، فمنهم من ألقى إليه كتابا، ومنهم من فتح الواسطة إليه بابا، ومنهم من أوحى إليه فنال بالفكر ما أفاض عليه.

قال السائل : فمن أين له هذا العلم؟

قال المجيب علمه على حاله في الأزل، وإذ لم يجهل قط فذاته عالمة لم تكتسب علما لم يكن له كما قال في بيد[1] الذي أنزله على براهم: احمدوا وامدحوا من تكلم ببيد .....اخ"[2].

والملاحظ في هذا النص الذي أورده البيروني أن فيه توحيدا مطلقا كما هو عند المسلمين، بل فيه تنزيه لله في أعلى صوره، توحيد يشمل الذات والصفات، وكأنهم هذا يعلنون وحدة الإله، ثم عقب البيروني على هذا النص بأن الخواص

[1] ـــ المراد ببيد الكتاب المقدس لدى الهنود ريج فيدا .

[2] ـــ المرجع السابق صـــ ٢١ .

كانوا موحدين، أما العوام فيرى أنهم انحرفوا عن تعاليم تلك الكتب، وزادوا أقاويل من عندهم كما هو شأن العوام في الملل الأخرى، كما نجد في الإسلام من يقول بالتشبيه والإجبار، وكأصحاب الهياكل من اليهود والنصارى والمنانية[1] .

والنص الذي ساقه البيروني تعارضه وتناقضه نصوص أخري كثيرة في الديانة الهندوسية، فيها شرك صريح، والمفترض في الدين الواحد أن العقيدة لا تختلف فيه من شخص لآخر، فالخاصة والعامة في المسائل العقدية سواء، وإلا كان العوام الذين يقولون بالتعدد خارجين عن هذا الدين، وقد رد عليه الشيخ أبو زهرة؛ بأن ماساقه من دليل لا يصلح أن يكون حجة في هذا المقام، حيث قال:" ويظهر على أية حال أن موحديهم إن كانوا من الندرة بحيث لا يمنعون تعميم الحكم بالوثنية على البرهميين، لأن الحكم يتبع الغالب الشائع،ولا يتبع القليل النادر"[2].

الرأي الثاني

وهو للدكتور أحمد شلبي فهو يرى أن في الديانة الهندوسية تناقضاً بين التوحيد والتعدد فيما يختص بالإله، فتوجد فيها نزعتان مختلفتان تمام الاختلاف وهما نزعة الوحدانية، ونزعة التعدد[3]، ويؤيد هذا الرأي ما ذكره غوستاف لوبون فقد ورد في ريج فيدا أن ديانة الهندوس:" كانت توحيد خالص، وديانة وحدة وجود راقية، وديانة شرك غليظ" [4] وإن كانت نزعة التعدد في الهندوسية أقوى وأكثر انتشاراً؛ إذ يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهاً يُعبد، كالماء، والهواء، والأنهار، والجبال، وهي آلهة كثيرة يتقربون إليها بالعبادة والقرابين، وكانوا يدعون تلك الآلهة لتبارك لهم ذريتهم، وأموالهم من المواشي والغلات والثمار، وتنصرهم على أعدائهم[5]، وكان لكل إله مهمة تسند إليه، وكان لكل إله مرتبة تختلف عن الآخر، بل بعضهم أعلى وأرفع أخلاقاً من الآخر، ومن ذلك ما ذكره ول ديورانت بقوله: " ولبثت النار وهي الإله أجني أو أغني[6]" ـــ حيناً من

[1] ـــ المرجع السابق صـــ ٢٣ .

[2] ـــ ديانات الهند القديمة، صـــ ٢٧.

[3] ـــ راجع أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤: صـ٥١.

[4] ـــ حضارة الهند صـــ ٢٨٠

[5] ـــ يراجع أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤: صـ ٥١.

[6] ـــ ويسمى أغني

الدهر أهم آلهة الفيدا جميعاً، إذ كان هذا الإله هو الشعلة المقدسة التي ترفع القربان إلى السماء، وكان هو البرق الذي يشب في أرجاء الفضاء، وكان للعالم حياته النارية، وروحه المشتعلة، غير "أن" إندرا "الذي يتصرف في الرعد والعاصفة كان أشيع الآلهة كلهم ذكراً بين الناس، لأنه هو الذي يجلب للآري الهندي الأمطار النفسية التي بدت له عنصراً جوهرياً يكاد يزيد في أهميته للحياة على الشمس ذاتها، لذا فقد جعلوه أعظم الآلهة مقاماً، يلتمسون معونة رعوده وهم في حومات القتال، وصوروه- بدافع الحسد له- في صورة البطل الجبار الذي يأكل العجول مئات مئات، ويشرب الخمر بحيرات بحيرات، وكان عدوه المحبب إلى نفسه هو "كرشنا" الذي لم يذكر في أسفار الفيدا إلا على أنه إله محلي لقبيلة "كرشنا"، إذ لم يكن حينئذ قد تجاوز هذه المرحلة؛ كذلك كان "فشنو" أي الشمس التي تجتاز الأرض بخطواتها الجبارة، إلهاً ثانوياً ....وكان أعظم الآلهة أخلاقا في الهند هو الإله "فارونا" الذي كان بادئ ذي بدء هو السماء المحيطة بالأرض، أنفاسه هي ريح العواصف، ورداؤه هو السماء، هذا الإله قد تطور على أيدي عُبَّادُه حتى أصبح أكثر آلهة الفيدا علواً في الأخلاق، وقرباً من المثل الأعلى للآلهة، أصبح يرقب العالم بعينه الكبرى، التي هي الشمس، يعاقب الشر، ويكافئ الخير، ويعفو عن ذنوب التائبين، وهذا كان "فارونا" حارساً على القانون الأبدي، ومنفذاً له، ذلك القانون الذي يسمونه "ريتا" وهو الذي كان أول أمره قانوناً يقيم النجوم في أفلاكها ويحفظها هناك، فلا يضطرب مسيرها، ثم تطور بالتدريج حتى أصبح قانون الحق إطلاقاً[1].

وهكذا نجد عند الهنود كثرة هائلة من الإلهة التي تحل في القوى الطبيعية ،ويذكر ول ديورانت عن طبعة الآلهة"تزدحم بها مقبرة العظماء في الهند، ولو أحصينا أسماء هاتيك الآلهة لاقتضى ذلك مائة مجلد، وبعضها أقرب في طبيعته إلى الملائكة، وبعضها هو ما قد نسميه نحن بالشياطين، وطائفة منهم أجرام سماوية مثل الشمس.

و الهندوس لم يصلوا إلى عبادة الظواهر الطبيعية دفعة واحدة، وإنما مروا بمراحل انتهت بهم إلى عبادتها، ويصور الأستاذ محمد عبد السلام مراحل الانتقال

1 قصة الحضارة ، جـ٣ صـ٣٢ .

بقوله: " وكانت المظاهر الكونية الجميلة. والمناظر العظيمة باعثة لإيقاظ الشعور الديني فيهم، فأعجبوا بهذه المظاهر واستمتعوا بها، وشكروا لها وامتنوا، وأثنوا عليها، ثم ظنوا أن لهذه المظاهر أرواحا ونفوساً كما أن لهم أرواحا ونفوسا، واعتبروا هذه الأرواح قوى كامنة وراء المظاهر، وبيدها أن تمنحهم هذه المظاهر التي أعجبتهم ، أو تحجبها عنهم ، فتقربوا إليها بالعبادة والقرابين، واعتبروها آلهة، ودعوها عند الحاجات"[1].

وعلى هذا كثرت الإلهة عندهم كثرة زائدة ، ويبدوا أن التوحيد عند الهندوسية كان موجودا مع هذا التعدد الهائل، إذ أنهم إذا عبدوا إله من الألهة عبدوه وحده ووصفوه برب الأرباب، فإذا عدلوا عنه إلى إله آخر عبدوه مثل الأول، ونعتوه بنفس نعوت الأول، فلا يوجد توحيد عندهم بالمعنى الدقيق، كما هو في الإسلام، لكنهم إذا أقبلوا على إله من الآلهة أقبلوا عليه بكل جوارحهم حتى تختفي عن أعينهم كل الآلهة الأخرى، يقول الدكتور أحمد شلبي:"ولكنهم في وسط هذا التعدد كانوا يميلون أحيانا إلى التوحيد، أو إلى اتجاه قريب منه. فقد كانوا إذا دعوا إلها من آلهتهم أوأثنوا عليه. أو تقربوا إليه بقربان. أقبلوا عليه بكل عواطفهم، وجل ميولهم حتى يغيب عن أعينهم سائر الآلهة والأرباب، ويكون إلههم هو ذلك الإله لاغير، فيسمونه بكل اسم حسن، ويصفونه بكل صفة كمالية. ويخاطبونه برب الأرباب، وإله الآلهة تعظيما وإجلالا، لا تحقيقا وإيقانا، وإذا عطفوا إلي غيره أقاموه مقام الأول، وجعلوه رب الأرباب، وإله الآلهة، فهذا التعبير (رب الأرباب، أو إله الآلهة) كان أولاً يدل على العظمة والجلال، فلما مضت القرون على هذا النحو، أصبح هذا التعبير ثابت المعنى، أي أنهم اعتقدوا فعلاً أن في وصف الآلهة رئيساً ومرؤسين، وآمراً ومأمورين، وأن الرئيس والآمر وحده هو رب الأرباب، وإله الآلهة، وهذا وصف ثابت له لا ينتقل إلى سواه، والكائنات كلها تحت يده، وسائر الآلهة تحت أمره"[2].

ومما سبق يتبين الفرق بين الرأيين

فالأول والذي يمثله البيروني، يقسم المجتمع الهندوسي إلى موحدين ووثنيين، ويميل إلى إثبات التوحيد

1 ـ فلسفة الهند القديمة (ثقافة الهند مارس ١٩٥٠ صـ ١٠ .

2 ـ أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤ صـ ٥١ وما بعدها .

والرأي الثاني يبين أن التوحيد متداخل مع التعدد وهو تناقض، وبالتالي لا يصح أن نثبت لأحد من أصحاب هذه الديانة أنه موحد، إذ أن التوحيد عندهم ليس معناه إفراد المعبود بالربوبية أو الإلوهية كما يفهمه المسلمون، وإنما التوحيد عند الهندوس معناه مرتبط بعبادة إله واحد فترة زمنية معينة، ثم العدول عنه إلى إله غيره، والتوحيد بهذا المفهوم يتغير عندهم بحسب احتياجهم، ومتطلباتهم، فإذا احتاجوا إلى إله معين مختص بجلب المنافع عبدوه، ثم عدلوا عنه لإله آخر يعتقدون فيه أنه يدفع عنهم الضرر، فإذا كانت حاجتهم للدفء والحرارة مثلاً عبدوا النار، وإذا احتاجوا للمطر عبدوا "إندرا" إله البرق والعاصفة وهكذا. والإله الذي يعبد في اعتقادهم هو إله الآلهة ورئيسهم، ومثل هذا لا يسمى توحيد وإنما هو شرك واضح وصريح.

عقيدة التثليث في الفكر الهندوسي

في القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد وصل فكر الكهنة الهنود إلى جمع الآلهة المتعددة في إله واحد له أقانيم ثلاثة، وقالوا: إنه هو الذي جمع العالم من ذاته، ثم يهلكه ويرده إليه، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء:

فهو "**برهما**" من حيث هو موجد، وخالق ومانح الحياة.

وهو "**فشنو**" من حيث هو حافظ العالم من الفناء.

وهو "**سيفا**" من حيث هو مهلك ومفني ومخرب[1].

وهذه الأقانيم الثلاثة إله واحد في زعمهم، فبرهما اسم الله في اللغة السنسكريتية، وعند البراهمة هو الإله الموجود بذاته لا تدركه الحواس، ويدركه العقل، وهو مصدر الكائنات كلها، وهو الأصل الأزلي المستقل الذي منه يستمد العالم وجوده، وقد جاء في بعض كتب الهنود المقدسة،" أن كاهنا توجه إلى الآلهة برهما، وفشنو، وسيفا، وسألهم : أيكم الإله بحق، فأجابوا جميعاً : اعلم أيها الكاهن أنه لا يوجد أدنى فارق بيننا نحن الثلاثة، فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق، وحفظ، وإعدام، ولكنه في الحقيقة واحد، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعاً"[2].

وبعد فترة، أي بعد أن قل نشاط ديانات

[1] ــ راجع دروس في الفلسفة إبراهيم مدكور ويوسف كرم صــ ١٢، د. ت ، وانظر ديانات الهند القديمة، للشيخ أبو زهرة صــ ٢٧.

[2] ــ دائرة المعارف محمد فريد وجدي جـ٢/ صـ ١٥٤ وما بعدها

الإلحاد " الجينية والبوذية " وازدهرت الهندوسية مرة أخرى، أصبح الإله شيفا له أتباع وهم الشيفية، وفشنو له أتباع وهم الفشينية.

ومن الملاحظ أن عقيدة التثليث عند الهنود فتحت الباب أمام النصارى للقول بالتثليث، ومن الراجح أن النصاري تأثروا بالهندوسية في القول بالتثليث، وذلك لأن الهندوسية أسبق من النصرانية والمتأخر هو الذي يتأثر بالمتقدم، ويؤكد ذلك أن الهندوس يعتقدون بأن آلهتهم قد حلت كذلك في إنسان اسمه كرشنا، وقد التقى فيه الإله بالإنسان، أو حل اللاهوت في الناسوت، وهم يتحدثون عن كرشنا كما يتحدث النصارى عن المسيح، وقد عقد الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله – مقارنة بينهما مظهراً التشابه العجيب، في العقائد بين الهنود والنصاري بل التطابق بينهم، وعلق في أخر المقارنة قائلاً: "وعلى المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم[1].

وخلاصة القول أن فكر الهندوسية في الإلوهية شرك صريح وهو ينافي التوحيد وما ذكره البيروني وغيره من المعاصرين من القول بالتوحيد عند الهنود فهولا يمت للتوحيد بصلة.

ومفهوم التوحيد الصحيح هو الإيمان بالله وحده لا شريك له، في ذاته وفي صفاته وأفعاله، ومن صفات الله الواحد الأحد، والفرق بينهما، أن الأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد، والواحد اسم بني لمفتتح العدد، تقول جاءني واحد من الناس، ولا تقول جاءني أحد، فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد منفرد بالمعنى، وقيل الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له ولا مثل له، ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عز وجل، والواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، والله عز وجل لا يوصف شيء بالأحدية غيره، لا يقال رجل أحد، ولا درهم أحد؛ لأن أحداً صفة من صفات الله عز وجل التي استخلصها لنفسه، ولا يشركه فيها شيء[2]..

والقرآن الكريم جادل المشركين عموما أمثال الهندوس وغيرهم ومن يعتقد اعتقادهم من عبدة الأصنام والأوثان بآيات كثيرة لا يتسع المقام لذكرها[3].

[1] ــ انظر ديانات الهند القديمة ، للشيخ أبو زهــرة صــ ٢٨وما بعدها .

[2] ــ ابــن كــثير : تفسير القــرآن العظيــم : جـ٥/٥٧١ .

[3] ــ يراجع للباحث البراهين علــى الوحدانيــة وإبطال شبه المخالقين صــ ٨، ٣٢ وما بعدها .

عقيدة خلق العالم في الفكر الهندوسي

نرى في الكتب الهندوسية كثيرا من التناقضات والاختلافات حول خلق العالم والكائنات، ولما كثر عدد الآلهة نشأت مشكلة هي: أي هؤلاء الآلهة خلق العالم؟ فكانوا يعزون هذا الدور الأساسي تارة لـ "آجنى" وتارة أخرى لـ "إندرا" وطوراً ثالثا لـ "سوما" وطوراً رابعاً لـ "براجاباتي" ، وهذه بعض الروايات المتناقضة في الكتب الهندوسية في قضية خلق العالم والكائنات.

الرواية الأولى في خلق العالم والكائنات جاءت في أحد أسفار "يوبانشاد" تعزي خلق العالم إلى خالق أول، وفحوى الرواية إن الروح الكوني تشكل بالشكل الإنساني، ثم نظر حوله فلم يجد هناك شيئاً غير نفسه، ثم خاف من وحدته ، ووجد نفسه لا يشعر بالسعادة، فرغب في إيجاد قرين له فقسم نفسه قسمين، قسم بقي علي حاله، والقسم الآخر تحول إلي امرأة، فكانت هذه المرأة زوجته، ومن تلك الساعة تسلسل خلق الإنسان، يقول ول ديورانت:"حقاً إنه لم يشعر بالسرور، فواحد وحده لا يشعر بالسرور، فتطلب ثانياً؛ كان في الحق كبير الحجم، حتى ليعدل جسمه رجلاً وامرأة تعانقا، ثم شاء لهذه الذات الواحدة أن تنشق نصفين، فنشأ من ثم زوج تملؤه الزوجة، وعلى ذلك تكون النفس الواحدة كقطعة مبتورة ... وهذا الفراغ تملؤه الزوجة، وضاجع زوجته، وهذا أنسل البشر؛ وسألت نفسها الزوجة قائلة: "كيف استطاع مضاجعتي بعد أن أخرجني من نفسه، فلأختف"؟

واختفت في صورة البقرة، وانقلب هو ثوراً، فزاوجها، وكان بازدواجهما أن تولدت الماشية، فاتخذت لنفسها هيئة الفرس، واتخذ لنفسه الجواد، ثم أصبحت هي حمارة فأصبح هو حماراً، وزاوجها حقاً، وولدت لهما ذوات الحافر، وانقلبت عنزة فانقلب لها تيساً، وانقلبت نعجة فانقلب لها كبشاً، وزاوجها حقاً، وولدت لهما الماعز والخراف، وهكذا حقاً كان خالق كل شئ، مهما تنوعت الذكور والإناث، حتى تبلغ في التدرج أسفله إلى حيث النمال، وقد أدرك هو حقيقة الأمر قائلاً: "حقاً إني أنا هذا الخلق نفسه، لأني أخرجته من نفسي، من هنا نشأ الخلق"[1]

1 قصة الحضارة ، جـ٣ صـ٣٣ وما بعدها ، وأديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤: صـ ٥٥ وما بعدها .

وجاء في كتاب قوانين منو رواية أخرى تقول " في المبدأ كان الكون مغموراً في غيابة الظلام ، ولا يمكن إدراكه، وخال من كل وصف مميز، لا يستطاع تصوره بالعقل، ولا بالوحي، كأنه في سبات عميق، وانقضى على هذا أمد طويل، ثم تعلقت إرادة المولى ....فاقتضت حكمة برهما، الذي لا يدركه إلا العقل، أن يبرز من مادته المخلوقات المختلفة، فأوجد الماء أولاً، ووضع فيه جرثومة، فصارت الجرثومة بيضة لامعة لمعان الذهب، وعاشت داخلها الذات الصلبة على صورة برهما، وهو جد جميع الكائنات، فبعد أن لبث برهما في البيضة سنة برهمية، وهي تعادل ملايين السنين البشرية، قسم المولى بمحض إرادته هذه البيضة قسمين، وصنع منها السماء والأرض والكائنات .... وعين لكل كائن اسمه، وخلق عددا عديدا من الآلهة، وخلق طائفة غير مرئية من الجن ، وخلق الزمان وأقسامه ، والكواكب والأنهار والبحار والجبال[1].

ورواية ثالثة في خلق العالم فحواها أن الإله "براجاباتي" هو خالق وخلق في نفس الوقت، لأنه كان في أول الأمر واحد. فاشتاق إلى التكثر وتمناه، فلم يكن من بقية الآلهة أن أجابوه إلى سؤله، فسحروه وقطعوه إرباً، ونثروا أجزاءه في جميع البقاع ، فتكون العالم كله من هذه الأجزاء، وفي هذا تقول الفيدا كان لبرجاباتي ألف رأس، وألف عين، وألف رجل،إن "برجاباتي" هو الكل هو الذي كان، وهو الذي سيكون ..ولما كان "برجاباتي" هو قربان هذه التضحية فقد نشأ من ذلك العالم والموسيقى والأغاني والتعاويذ السحرية، ...ومنه كذلك نشأ الخيول والضأن والماعز وكل الحيوانات ولكن حين فرق الآلهة أجزاء "برجاباتي" إلى كم قسم فرقوها ؟ وماذا كان فمه؟ وماذا كان ذراعاه؟ وماذا كان فخذاه؟ ثم ماذا كان قدماه ؟إن القمر نشأ من نفسه، والشمس من عينه و"أندرا" و "أجني" نشأ من فمه، والريح من نفسه، ومن سرته نشأت السماء الوسطى، ومن رأسه نشأت السماء العليا، ومن قدميه نشأت الأرض،وهكذا خلق العالم [2].

١ـ دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي جـ٢،صـ١٥٧.

٢ ـ الكتاب العاشر من ريج فيدا ، نقلاً عن الفلسفة الشرقية د/ غلاب صـ ٩٦ وما بعدها .

هذه هي الأساطير الواردة في خلق العالم عند الهندوس، والتي جعلوا منها اعتقادا لديهم من أن العالم لم ينشأ من عدم؛ وإنما أجزاؤه هي أبعاض الإله، وهي كما ترى متضاربة ومتناقضة، لأن مبناها على الوهم والخيال العقلي، فالرواية الأولى تبين أن أصل خلق العالم من نفس الإله؛ الذي خلق من نفسه زوجة له، ومنه أنجب جميع الكائنات، والرواية الثانية ترجع أصل الخلق إلى أن الإله أوجد الماء أولاً، ثم وضع فيه جرثومة، فصارت الجرثومة بيضة، وعاش داخل هذه البيضة على صورة برهما، وبعد أن عاش في البيضة سنة تعدل ملايين السنين، قسم البيضة نصفين ثم أوجد منهما السماوات والأرض ومن ثم سائر المخلوقات، والرواية الثالثة تبين أن أحد الآلهة ضحوا به فقطعوه إربا ونثروه؛ فوجد العالم من أجزائه، والروايات الثلاثة تشير إلى وحدة الوجود التي يعتقدها الهندوس، حيث أن جميع المخلوقات بها جزء إلهي.

عقيدة النبوة عند الهندوس

بعد دراستنا السابقة للإلوهية ونشأة خلق العالم في الديانة الهندوسية، نقرر بسهولة ويسر أن الهندوس يعتقدون أن كل مخلوق به جزء إلهي، وأنهم يتصلون بالله مباشرة؛ لأن آلهتهم التي يعبدونها تعيش بينهم، والرسول لايأتي بتشريع، ومن أجل هذا لا حاجة للرسل عندهم، يقول البيروني عن الهندوس: "فإنهم يرون الشريعة وسننها صادرة عن "رشين" الحكماء قواعد الدين، دون الرسول الذي هو " ناراين " المتصور عند مجيئه بصور الإنس، ولن يجئ إلا لحسم مادة شراً يطل على العالم، أو لتلافي واقع، ولاعوض في شئ من أمر السنن، وإنما تعمل بها كما تجدها، فلأجل هذا وقع الاستغناء عن الرسل عندهم في باب الشرع والعبادة، " [١]

ولهذا أورد الشهرستاني وغيره من علماء الإسلام أن البراهمة نفوا النبوات، وقرروا استحالة ذلك في العقول بوجوه:

منها: إن الذي يأتي به الرسول لم يخل من أحد أمرين:

إما أن يكون معقولا.

وإما أن لا يكون معقولا.

فإن كان معقولا؛ فقد كفانا العقل التام بإدراكه، والوصول إليه، فأي حاجة لنا إلى الرسول.

١ ـ تحقيق ما للهند من مقولة صـ ٨١

وإن لم يكن معقولا؛ فلا يكون مقبولا ؛ إذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الإنسانية، ودخول في حريم البهيمية.

ومنها أن قال : قد دل العقل على أن الله تعالى حكيم، والحكيم لا يتعبد الخلق إلا بما تدل عليه عقولهم، وقد دلت الدلائل العقلية على أن للعالم صانعا عالما قادرا حكيما، وأنه أنعم على عباده نعما توجب الشكر، فننظر في آيات خلقه بعقولنا ونشكره بآلآئه علينا، وإذا عرفناه وشكرنا له استوجبنا ثوابه، وإذا أنكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه، فما بالنا نتبع بشرا مثلنا، فإنه إن كان يأمرنا بما يخالف ذلك كان قوله دليلا ظاهرا على كذبه.

ومنها أن قال : قد دل العقل على أن للعالم صانعا حكيما، والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح في عقولهم، وقد وردت أصحاب الشرائع بمستقبحات من حيث العقل من التوجه إلى بيت مخصوص في العبادة، والطواف حوله، والسعي ورمي الجمار، والإحرام والتلبية، وتقبيل الحجر الأصم ، وكذلك ذبح الحيوان، وتحريم ما يمكن أن يكون غذاء للإنسان، وتحليل ما ينقص من بنيته، وغير ذلك، وكل هذه الأمور مخالفة لقضايا العقول.

ومنها أنه قال: إن أكبر الكبائر في الرسالة إتباع رجل هو مثلك في الصورة والنفس والعقل، يأكل مما تأكل، ويشرب مما تشرب، حتى تكون بالنسبة إليه كجماد يتصرف فيك رفعا ووضعا، أو كحيوان يصرفك أماما وخلفا، أو كعبد يتقدم إليك أمرا ونهيا، فأي تميز له عليك؟ وأية فضيلة أوجبت استخدامك؟ وما دليله على صدق دعواه ؟ [١].

تلك هي شبههم في إنكار النبوات كما أوردها الشهرستاني ولهم شبه أخرى لا يتسع المقام لذكرها والرد عليها، وقد رد عليها علماء الكلام قديما وحديثا[٢] وجملة القول في هذه الشبه أنها مبنية على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين .

ويرد عليهم بأن العقل لا يدرك حسن الأشياء ولا قبحها وإنما التحسين والتقبيح يكون بالشرع، فالحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع.

ثم نقول إن العقول متفاوتة فما يحسنه عقل شخص يقبحه عقل آخر،

١ راجع الملل والنحل للشهر ستاني صـ ٥٠٦ وما بعدها

٢ ـ راجع شبههم والرد عليها بالتفصيل في الملل والنحل ،ص ٥٠٦ ، وكتاب النبوات لابن تيمية ، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي وغيرهم ،

يتوقف فيه عقل ثالث ، فالاعتماد عليها يؤدي إلى التنازع والتقاتل .

ويرد عليهم الإمام الغزالي بأن الرسول يأتي بما لا تستقل العقول بمعرفته، ولكن تشتغل بفهمه إذا عرف، فإن العقل يعجز عن المعرفة الحقيقية للضار والنافع، وما يتصل بالعقائد، وبخاصة الأمور الغيبية، والعبادات والأخلاق، فإذا أوضح الرسول هذه الأمور، فهمها العقل وصدق بها[1].

ومع التسليم جدلاً بالتحسين والتقبيح العقليين فإن الرسول إذا جاء موافقاً لما قضى به العقل، فإن الحكم يقوى؛ لاجتماع دليلين على مدلول واحد.

وإن جاء الرسول مخالفاً لما قضى به العقل، فإنه يوضح أوجه المخالفة، وبهذا يظهر الحكم الصحيح.

أما ما توقف فيه العقل، فإن الرسول يُظهر جانب الحسن فيه حتى يعمل به، أو جانب القبح حتى يبتعد عنه[2].

١ ــ الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٢٣ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ م ط أولى .

٢ ــ راجع قضايا عقدية د/ محمد الأنور صـ ٨٧ وما بعدها .ط أولى سنة ١٩٨٨ م.

وقول البراهمة في النبوات لا يعتد به؛ لأن النبي يبعث من قبل الله تعالى، والبراهمة ليس لهم إله واحد حتى يبعث لهم نبياً لهداية قومه، بل لهم آلاف الآلهة كما تقدم، ويرى الدكتور طه حبيشي " أن المنكرين للنبوة، أو الذين يفهمونها على غير وجهها؛ إنما هم أخلاط من الناس، وأوباش من الأمم تحدوهم المنفعة، ويدفعهم الهوى إلى ما يقولون، أوهم قد أخطئوا المنهج العلمي في دراستهم لهذه المسألة، لجهلهم بخصائص النبوة ، ومميزات الأنبياء"[3]

وأخيراً أتفق مع الدكتور ضياء الكردي[4] ــ رحمه الله ــ بأن هذا الكلام من الشهر ستاني وغيره من علماء الأمة ــ والذي أوردوه عن البراهمة في النبوات محل نظرــ إذ قد ظهر لنا أن مسألة النبوة ما كانت لتشغل فكر أصحاب الديانة الهندوسية، حيث أنهم لا متعلق لهم بها، لا من جهة العقيدة، ولا من جهة الشريعة، فما ذهب إليه الشهر ستاني وغيره مع تقديرنا لرأيه، إما أنه

٣ ــ النبوة والتنبؤ صـ ٦٨ ، الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٧ م .

٤ ــ انظر الإلوهية وصلتها بالعالم د/ ضياء الكردي صـ٤٦ ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢ م

افتراض منه، أو رأى بناه على فهم خاص به، أو أنه قول لطائفة نادرة من طوائفهم، أو منهج عقلي اتخذه أصحاب الديانة الهندوسية لمواجهة علماء الإسلام عند فتحهم للهند.

معتقدات الهندوس في الكارما، وتناسخ الأرواح ، والانطلاق ، ووحدة الوجود

١- الكارما:هي"عقيدة الجزاء"

قالوا فيها بأن نظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، وهذا العدل سيقع لا محالة ،إما في الحياة الحاضرة، أو في الحياة القادمة، وجزاء الإنسان على الأعمال الصادرة منه في الدنيا يكون في حياة أخرى، والأرض هي دار الابتلاء كما أنها دار الجزاء والثواب.

وجاء في شريعة منو أن " الإنسان مجزي بأي عمل يأتيه بقلبه أو بلسانه، أو جسمه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وعلى ما يصنعه الإنسان يتوقف حاله، طيبا أو متوسطا أو سيئا "[1]

وجاء في "بوجاواستها"، ما يلي:

"ليس في الكون مكان لا الجبال ولا السموات ولا البحار، ولا الجنات يفر إليه المرء من جزاء أعماله حسنةً كانت أو سيئة.

وجميع أعمال البشر الاختيارية التي تؤثر في الآخرين، خيرا كانت أو شراً، لابد من أن يجازى عليها بالثواب أو العقاب طبقاً لناموس العدل الصارم ، فنظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، وأن العدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل، وإن في الطبيعة نوعاً من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصاء، وبعد إحصائها ينال كل شخص جزاءه على عمله، ويكون الجزاء في هذه الحياة "[2]

والهندوس لاحظوا من واقع الحياة، أن الجزاء قد لا يقع في الدنيا، فالظالم قد ينتهي دون أن يُقتص منه، والمحسن قد ينتهي دون أن يُحسَن إليه ، ولذلك لجأوا إلى القول بتناسخ الأرواح، ليقع الجزاء في الحياة القادمة،إذا لم يتم في الحياة الحاضرة[3].

١ ــ حضارة الهند ، غوستاف لوبون صـ ٣٣٧ .

٢ ــ Edward Thomas: Thc History of Buddhist Thought p . ١٠٧ نقلا عن أديان الهند الكبرى، جـ ٤/ صـ ٦٦ .

٣ ــ المرجع السابق نفس الصفحة .

٢- تناسخ الأرواح عند الهندوس:

عقيدة تناسخ الأرواح مرتبطة بعقيدة الكارما "الجزاء"، والهندوسية لا تؤمن بحياة أخرى فيها حساب وثواب وعقاب، و جنّة ونار، وإنما يرتبط مصير الروح بعد موت الجسد بالتناسخ، ويطلق بعض العلماء على هذه العقيدة "تجوال الأرواح" ويطلق عليها كذلك " تكرار المولد" وهذه العقيدة تجمع كل الديانات الهندية يقول البيروني " كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والاسبات علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها، ولم يعد من جملتها"(١).

مفهوم التناسخ

التناسخ هو رجوع الروح بعد خروجها من البدن التي كانت فيه إلى العالم الأرضي في جسم آخر، فإذا مات الإنسان يفنى منه الجسد، وتنطلق منه الروح لتتقمص وتحل في جسد آخر بحسب ما قدم من عمل في حياته الأولى، فإذا مات الجسد الثاني؛ انتقلت الروح إلى جسد ثالث، وهكذا تتحول الروح بين الأجساد، وأعمال الإنسان في حياته الأولى هي التي تحدّد مصير النفس، فإذا سلك سبيل الخير، واتبع الفضائل، انعتقت نفسه من دورة الحياة في الأبدان، واتحدّت بالروح الكلية، روح الإله برهما، وإذا سلك طريق الشر، واتبع الرذائل تبقى روحه في هذه الدورة تنتقل من بدن إلى بدن آخر في دورة جديدة نتيجة لارتكابه السيئات في الدورة الماضية، وتوجد الروح في جسد إنسان أو حيوان أو ثعبان وتسعد أو تشقى .

ويؤكد هذا نصوص كثيرة منها:

يقول ول ديورانت عن عقيدة التناسخ عند الهندوس " الروح بعد الموت تلاقي إما عذاباً أو نعيماً، فإما أن يلقيها "فارونا" في هوة مظلمة سحيقة، أو في جهنم ذات السعير، وأما أن يتلقاها "ياما"

" فعلى الإنسان أن يعلم بنفسه أن نوع التناسخ يكون على حسب ما يعمل من الصالحات والسيئات، فيوجه نفسه إلى الفضيلة على الدوام.

" ويَلبث أكابر المجرمين في جهنم أحقابا، ثم يقضى عليهم بأن يجاوزوا المراحل الآتية تكفيراً عن خطيئاتهم

١ ــ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة صــ ٣٨.

" فيتقمص قاتل البرهمي ، بحسب أهمية جرمه، جسم كلب وخنزير وحمار وجمل وثور وكبش ووحش وعصفور وجندلاً " (١)

ومن النصوص التي تبين لنا تناسخ الأرواح في الهندوسية ماذكره البيروني "قال " باسديو " لأرجن " يحرضه على القتال وهما بين الصفين: إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً؛ فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معاً بموتى، ولا ذاهبين ذهاباً لا رجوع معه، فإن الأرواح غير مائتة، ولا متغيرة، وإنما تتردد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب، والكهولة، ثم الشيخوخة التي عقباها موت البدن ثم العود، وقال له: كيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود لا عن ولادة، ولا إلى تلف وعدم ، بل هي ثابتة قائمة لا سيف يقطعها، ولا نار تحرقها، ولا ماء يغصها ولا ريح تيبسها، لكنها تنتقل عن بدنها إذا عتق نحو أخر ليس كذلك، كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق، فما غمك لنفس لا تبيد، ولو كانت بائدة فأحرى أن لا تغتم لمفقود لا يوجد ولا يعود، فإن كنت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده، فكل مولود ميت وكل ميت عائد، وليس لك من كلا الأمرين شيء، إنما هما إلى الله الذي منه جميع الأمور، واليه تصير (٢)

والتناسخ ليس للإنسان والمخلوقات فقط في الديانة الهندوسية ، وإنما يلحق الآلهة كذلك، قال "باسديو" "لأرجن" لما سأله : كيف حاربت براهم في كذا وهو متقدم للعالم سابق للبشر، وأنت الآن فيما بيننا منهم معلوم الميلاد والسن ؟

أجابه وقال : أما قدم العهد فقد عمني وإياك معه، فكم مرة حيينا معاً قد عرفت أوقاها وخفيت عليك، وكلما رمت المجيئة للإصلاح لبست بدناً إذ لا وجه للكون مع الناس إلا بالتأنس .

وحكي عن ملك أنسيت اسمه انه رسم لقومه أن يحرقوا جثته بعد موته في موضع لم يحرق فيه ميت قط، وإنهم طلبوا موضعاً كذلك فأعياهم حتى وجدوا صخرة من ماء البحر ناتئه، فظنوا أنهم ظفروا بالبغية ، فقال لهم " باسديو " : إن هذا الملك أُحرق على هذه الصخرة

١ ــ راجع حضارة الهند د/غوستاف لوبون صـــ ٢٩٥ ــ ٣٣٧.

٢ ــ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقـــل أو مردولة صـــ ٤٠.

مرات كثيرة، فافعلوا ما تريدون؛ فإنه إنما قصد إعلامكم، وقد قضيت حاجته"[١].

وللتناسخ أو تكرار المولد في الديانة الهندوسية سببان:

الأول هو أن الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد.

والثاني أن الروح خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقتها بالآخرين لابد من أدائها، فلا مناص إذاً من أن تستوفي شهواتها في حيوانات أخرى، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة [٢].

يقول محمد عبد السلام :"فالميل يستلزم الإرادة، والإرادة تستلزم الفعل في هذا الجسد، وإن لم يصلح هذا ففي جسد غيره، فقد خلقت الميول لتستوفى، وإذا لم تستوف لم ينج من تكرار المولد، وإذا اكتملت الميول ولم يبق للإنسان شهوة ما، وأزيلت الديون فلم يرتكب الإنسان إثما، ولم يقم بحسنة تستوجب الثواب، نجت روحه وتخلصت من تكرار المولد، وامتزجت بالبرهما، سواء كان الاكتمال في جسد واحد، أو أجساد متعددة"[٣].

لذلك يركز الهندوس اهتمامهم على الروح، لأنها في معتقدهم يمكن أن ترقى إلى الكمال، أمّا البدن فسمته النقص، ولكي يحقق الجسد درجة ما من التطهير، ينبغي عليه أن يستغل وجود الروح فيه، ولهذا قالوا بحرق البدن عند الموت، والموت عندهم للجسد نهاية لا تجدّد لها.

ومن الشروط اللازمة لتجوال الروح، أن الروح في عالمها الجديد لا تذكر شيئا من عالمها السابق، فكل دورة منقطعة تماما بالنسبة للروح عن سواها من الدورات[٤].

وقول الهندوسية بالتناسخ ما هو إلا خيالات وأوهام لا صلة له بالتشريع الصحيح، وهو يتصادم مع العلم، ومع الدين الإسلامي، بل ومع الفكر الهندوسي نفسه، ومع الواقع.

أما اختلافه مع العلم : فقد ثبت لدي كل الدراسات العلمية وعلم

١ المرجع السابق نفس الصفحة.

٢ ـ راجع ثقافة الهند وواجهاتها الروحية ، بروفسور أتريا صـ ٤٢ نقلاً عن نقلاً عن أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤ صـ ٦٧ .

٣ ـ فلسفة الهند القديمة (ثقافة مارس ١٩٥٣ / محمد عبد السلام ، صـ٣٠ .

٤ ـ راجع أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤ صـ ٦٨

الأجناس، أن الولد بعض أبويه، واستمرارٌ لهما، إنه يماثلهما جسماً، ويماثلها روحاً ومواهب، فهو يرث عن أبويه لون الجسم والعيون والشعر، والقامة والصحة والمرض، ويرث المواهب والأخلاق، وذلك كله ضد التناسخ، لأن الروح تحل في جسد آخر لا علاقة لها به، وقد يكون جسد بقرة أو ثعبان .... الخ كما ذكرنا[١].

أما مخالفته للدين الإسلامي ، لأن القول بالتناسخ يرتبط بتفسيرات خاطئة للثواب والعقاب، والحساب للروح والجسد معاً في الآخرة، وقد تسرب قول الهندوس بالتناسخ إلى فئة قليلة من المسلمين، يقول البغدادي: "وأما أهل التناسخ في دولة الإسلام فان البيانية والجناحية والخطابية والراوندية من الروافض الحلولية كلها قالت بتناسخ روح الإله في الأئمة بزعمهم، وأول من قال بهذه الضلالة السبابية من الرافضة لدعواهم أن عليا صار إلها حين حل روح الإله فيه[٢].

وقد رد علماء الأمة على هذه الفئة القليلة ، ووقفوا منهم موقفا عدائيا وقاوموا كل من تسرب إليه القول بالتناسخ مقاومة عنيفة، والثابت عند جمهور الأمة أن الثواب والعقاب يكونان للروح والجسد معاً قال تعالي ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور : ٢٤).

ويقول ابن حزم في رده على القائلين بالتناسخ :" أما الفرقة المرتسمة باسم الإسلام فيكفي من الرد عليهم إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم، وعلى أن من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام، وأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى بغير هذا، وبما أن المسلمين مجمعون عليه من أن الجزاء لا يقع إلا بعد فراق الأجساد للأرواح بالنكر أو التنعم قبل يوم القيامة، ثم بالجنة أو النار في موقف الحشر فقط[٣]، إذا جمعت أجسادها مع أرواحها، التي كانت فيها"[٤].

١ ـ المرجع السابق صـ ٢٠١

٢ ـ الفرق بين الفرق جـ ١ ـ صـ ٢٥٤ . دار الآفاق الجديدة ـ بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٧٧، وانظر نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام / د/ علي سامي النشار ، جـ ١، صـ ٢٢٠ ،ط ، دار المعارف الطبعة الثامنة .

٣ ـ لأن مذهب ابن حزم في سؤال القبر وعذابه للروح دون الجسد، من أجل هذا قال في موقف الحشر فقط ، وهو خلاف رأي أهل السنة وجمهور الأمة من السؤال والعذاب والنعيم للروح والجسد معاً

٤ ـ الفصل في الملل جـ ١ ـ صـ ١٦٦ الناشر : دار الجيل ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٥ م

وقال في موضع آخر " إن دعوى تناسخ الأرواح أوهام وخرافات بلا دليل "[١].

أما مخالفة التناسخ للفكر الهندوسي فذلك لأنه* يتصادم مع نظام الطبقات عندهم، وسنعطي فيما بعد معلومات كافية عن نظام الطبقات الذي يحافظ على العرق والدم، ويلزم من التناسخ أن البراهمة وهي أعلى طبقة أرواحها تتناسخ في أجساد أخرى من الطبقات الأدنى، وربما تنتقل لجسم حيوان، ولذلك اضطر بعض البراهمة خروجاً من هذا الإشكال إلى القول بأن التناسخ يتم في حدود الطبقة التي ينتمي إليها الإنسان، فأرواح البراهمة تنتقل إلى أجساد البراهمة، وأرواح العبيد تنتقل إلى عبيد، وهكذا، ولكن هذا يُفقد التناسخ قيمته، فالمقصود من التناسخ عندهم هو تحقيق الجزاء نظير خيرا أو شرا ارتكبته الروح في الحياة السابقة، ولا يتم ذلك مادام العبد سيبقى عبدا، والسيد سيبقى سيداً .

وإذا كان التناسخ مرتبطاً بالجزاء فماذا يقول الفكر الهندوسي في الطفل الذي يموت عقب الولادة؟ إن الروح به لم تستمتع ولم تعاقب، فليست ولادته إذاً وبعث روح شخص آخر إلا عبثا.

وأما مصادمة التناسخ للواقع، فلأنه لا يفسر لنا الزيادة في تعداد السكان، والهبوط السريع أحيانا في أثناء الحروب، فمن أين تجئ الأرواح الجديدة؟ وإلى أين تذهب أرواح القتلى في الحروب، حيث يكون المواليد أقل من الموتى.

وبالجملة القول بالتناسخ ماهو إلا تفكيك للأسرة ، وتصوير لها على أنها أشتات من الناس فكل فرد من أفرادها أتى من فرد لانعرفه[٢] .

٣- الانطلاق:

ذكرت في عقيدة التناسخ أن الإنسان يتكرر مولده مرات عديدة في الديانة الهندوسية، ولكي يتوقف مولده ويصل إلى قمة السعادة، لابد أن يمتزج بالإله برهما، وهذا هو معنى الانطلاق، لكن توقف ميلاده في الأجسام؛ يتطلب اكتمال ميوله وشهواته، ومعنى اكتمال الميول والشهوات، هو توقفها وتغلب الإنسان على نفسه، بحيث لا يبقى له شهوة ولا ميل، بل يقنع بما حصل عليه،

١ ــ المرجع السابق نفس الصفحة.

٢ راجع أديان الهند الكبرى ، د أحمد شلبي جـ ٤ / صـ ٢٠٠ وما بعدها

ولا يتطلب مزيدا، فإذا تم ذلك مع انقطاع عن الأعمال، وعن علائق الدنيا، وما فيها من ملاذ وعصيان، تلك التي تستلزم تكرار المولد، إذا تم له ذلك نجا من تكرار المولد، وامتزج ببرهما .

وهدف الحياة الأسمى هو الانطلاق من دورات الوجود المتوالية، والاندماج في الكائن الأسمى، وهذا الاندماج لا يكتسب بالأعمال الصالحة؛ لأن الإنسان يجازى عليها عن طريق الميلاد المتكرر، كالأعمال الشريرة تماما.

وقد ورد في أرانيك ما يلي: من لم يرغب في شيء، ولن يرغب، وتحرر من رق الأهواء، واطمأنت نفسه، فإنه لا يعاد إلى حواسه، ويتحد بالبرهما، فيصير هو ويصبح الفاني باقيا[١].

ويذكر ول ديورانت رواية من كتبهم توضح لنا معنى الانطلاق " فهذا هو جاناكا" ملك "الفيديها" يتوسل إلى "ياجنافالكيا" أن ينبئه كيف يمكن التخلص من العودة إلى الولادة من جديد، ويجيب "ياجنافالكيا" فيقول: إذا اقتلع الإنسان بالتزهد كل شهوات نفسه، لم يعد هذا الإنسان فرداً جزئياً قائماً بذاته، وأمكنه أن يتحد في نعيم أسمي مع روح العالم، وبهذا الاتحاد يخلص من العودة إلى الولادة من جديد، وهنا قال له الملك الذي غلبته حكمة الحكيم على أمره، قال "أي سيدي الكريم، إني سأعطيك شعب الفيديها وسأعطيك نفسي، لنكون لك عبيداً، وإنها لجنة صارمة تلك التي بعدها "ياجنافالكيا" ذلك الملك المتبتل، لأن الفرد هناك لن يشعر بفرديته، بل كل ما سيتم هنالك هو امتصاص الفرد في الوجود، وهو عودة الجزء إلى الاتحاد بالكل الذي انفصل عنه حيناً من الدهر، " فكما تتلاشى الأنهار المتدفقة في البحر، وتفقد أسماءها وأشكالها، فكذلك الرجل الحكيم إذا ما تحرر من اسمه وشكله، يفنى في الشخص القدسي الذي هو فوق الجميع "[٢]

من هذا النص يتبين لنا معنى الانطلاق إذ هو التخلص من تكرار الولادة والاتحاد ببرهما وهذا يسلمنا للعقيدة التالية .

وحدة الوجود

هذه العقيدة وثيقة الصلة بما قبلها، وقد وضحت عند الحديث عن عقيدة خلق العالم عند الهندوس؛ أن الإله كان وحده فلم يشعر بالسرور، فخلق من

١ ــ المرجع السابق جـ ٤ / صـ ٧٠

٢ ــ قصة الحضارة ، جـ ٣ صـ ٥٠ وما بعدها.

نفسه قرينة له وتزوجها، وخلق منها الإنسان، وأنجب منها جميع المخلوقات، فكل المخلوقات جاءت من الإله، وفي عقيدة الانطلاق وضحت كيف يعود الإنسان مرة ثانية ويتحد ببرهما حتى يصبح وجودهما واحد.

ومذهب وحدة الوجود في الديانة الهندوسية يجعل الخالق وخلقه شيئاً واحداً، وكل الأشياء وكل الأحياء كائناً واحداً، فكل صورة من الكائنات كانت ذات يوم صورة أخرى، ولا يميز هذه الصورة من تلك ويجعلهما حقيقتين إلا الحس المخدوع ،وفارق الزمن بينهما[1].

ويصور لنا ول ديورانت عقيدة وحدة الوجود عند الهندوس في ثلاث خطوات، إذ يقول: "يبحث الباحث عن "أتمان" نفس النفوس كلها، وروح الأرواح كلها، والمطلق الذي لا مادة له ولا صورة، والذي ننغمس فيه بأنفسنا جميعاً إذا نسينا أنفسنا كل النسيان.... أن جوهر النفس فينا ليس هو الجسم، ولا هو العقل، ولا هو الذات الفردية، ولكنه الوجود العميق الصامت الذي لا صورة له، الكامن في دخيلة أنفسنا، هو "أتمان".

وأما الخطوة الثانية فهي "براهمان" وهو جوهر العالم الواحد الشامل الذي لاهو بالذكر، ولا هو بالأنثى،غير المشخص في صفاته، المحتوي لكل شيء، والكامن في كل شيء، الذي لا تدركه الحواس، هو "حقيقة الحقيقة" هو الروح الذي لم يولد ولا يتحلل ولا يموت، أن "أتمان" الذي هو روح الأشياء كلها، هو روح الأرواح كلها، هو القوة الواحدة التي هي وراء جميع القوى وجميع الآلهة، وتحت جميع القوى وجميع الآلهة، وفوق جميع القوى وجميع الآلهة. ...... الإنسان في حقيقته التي تتجرد من الفردية، هو هو بعينه الله باعتباره جوهراً للكائنات جميعاً .

والخطوة الثالثة .... "أتمان" و "براهمان" إن هما إلا إله واحد بعينه، إن الروح (اللافردية) أو القوة الكائنة فينا هي هي بعينها روح العالم غير المشخص"[2].

ويوضح غوستاف لوبون وحدة الوجود عند الهندوس ، وأن روح الإنسان ليست منفصلة عن روح الإله فيقول : " وليست الروح بمنفصلة عن الله، فالروح في كل جزء حي من الكائن

١ ـ المرجع السابق، ج جـ٣ صـ٣٤ وما بعدها.

٢ ـ قصة الحضارة ، جـ٣ صـ٤٨ وما بعدها .

الأعلى، وتتألف الروح الأعلى من مجموع أرواح الآلهة، والناس والحيوانات والله المتعدد"[1].

وذكرت شروح الويدا أن الإنسان من حيث روحه جاء على فطرة الله، وكما أن شرارة النار نار فإن الإنسان من نوع الإله، وروحه لا يختلف عن الروح الأكبر إلا كما تختلف البذرة عن الشجرة، وعندما تجرد الروح من الظواهر المادية ، تبدأ رحلتها للعودة إلى الروح الأكبر ولذلك يسمى تخلصها من الجسم طريق العودة[2].

وبهذا يتضح لنا أن وحدة الوجود: هي اتحاد الإنسان مع الآلهة، والذي تصير فيه نفس الإنسان أو روحه هي عين القوة الخالقة، وأن الروح كالآلهة أزلية سرمدية، مستمرة، غير مخلوقة، وأن العلاقة بين الإنسان وبين الآلهة كالعلاقة بين شرارة النار والنار ذاتها، وكالعلاقة بين البذرة وبين الشجرة، وأن هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي، والروح الإنسانية جزء من الروح الإلهية.

نظام الطبقات في المجتمع الهندوسي

اختلط النظام الديني، في الفكر الهندوسي ، بمختلف الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولكي يضمن أصحاب النفوذ الديني وأصحاب النفوذ السياسي من البراهمة دوام نفوذهم؛ كرّسوا نظاما طبقيا اجتماعيا يضمن لهم السيطرة، فكان من ذلك أن تبلور نظام الطبقات عند الهندوس، الذي وزّع الهنود في أربع طبقات مغلقة، ينتمي الأبناء إلى طبقات الآباء حكماً، وهذه الطبقات قائمة إلى الآن، ولا سبيل لإزالتها؛ لأنها في زعمهم تقسيمات إلهية أبدية من خلق الإله برهما كما يعتقدون، وبهذا المفهوم لا يرتفع أي شخص إلي طبقة أعلى من طبقته، والطبقات الأربع كما جاءت في كتاب قوانين منو المعروف باسم "منُوسَمرتي": هي:

الطبقة الأولى

البراهمة وهم (الكهنة) وهذه الطائفة خلقت من وجه الإله برهما، أو من فمه، وبما أن هذه الطائفة خلقت من رأس الإله مركز الفكر والحكم، فهم

١ ـ حضارة الهند د/غوستاف لوبون صـ ٣٣٣ .

٢ ـ راجع الحياة في رأي الآريين ، ثقافة الهند سبتمبر سنة١٩٥٠، محمد علي حافظ ، صـ١٣٣ وما بعدها ، نقلاً عن أديان الهند الكبرى ، د أحمد شلبي جـ ٤ / صـ ٧٢ .

العلماء والحكماء، ويتمتعون بمزايا عظيمة لا يتمتع بها غيرهم وأهم هذه المزايا :

أ- عَهِدَ الإله الأكبر برهما إلى البراهمة بقراءة الويدا وتعليمها .

ب – يجب أن يحافظ البرهمي على كنز الشرائع المدنية والدينية.

ج ، الإله خصهم بإعطاء الصدقات وقبولها، ولا يجوز تقديم القرابين والذبائح إلا في حضرتهم.

د – على البراهمة الحفاظ على العدالة والأخلاق.

هـ – إذا ولد للبرهمي ولد وضع في الصف الأول من صفوف الدنيا.

و – البرهمي محل احترام جميع الآلهة، بسبب نسبه وحده، وأحكامه حجة في العالم، والكتاب المقدس هو الذي يمنحه هذا الامتياز.

ز – كل ما في العالم حق للبرهمي، وللبرهمي حق في كل موجود.

ح – البرهمي إذا ما افتقر حق له أن يمتلك مال الشودري الذي هو عبد له من غير أن يجازيه الملك على ما فعل، فالعبد وما يملك لسيده.

ي – لا يدنس البرهمي بذنب ولو قتل العوالم الثلاثة، أي الطبقات الثلاثة التي هي أدنى منه.

ك – لا ينبغي للملك أن يجبي خراجاً من برهمي عالم بالكتاب المقدس، ولو مات الملك محتاجا، ولا يجوز له أن يصبر على جوع برهمي في ولايته، وليتجنب الملك قتل برهمي ولو اقترف جميع الجرائم — وليطرده إذا رأى — من مملكته، على أن يترك له جميع أمواله وألا يصيبه بأذى.

ل – البرهمي المحصن إذا ما زنى قص شعر رأسه قصاً شائنا، على حين يقتل الزناة المحصنون من أبناء الطبقات الأخرى.

وبناء على أن البراهمة هم أعلى طبقة؛ فلا يجوز لأحد من الطبقات الأخرى أن يتزوج ببرهمية لعدم الكفاءة، وذلك لأن أولاده منها سيهبطون إلى مستواه، ولكن يجوز للرجل أن يتزوج امرأة من طبقة أقل من طبقته على أن لا تكون من الطبقة الرابعة (الشودرا) التي ليست إلا للخدمة، ولا تسمو لأن يتزوج منها أحد من أفراد الطبقات العليا الثلاثة، والرجل الذي يتزوج بواحدة من الشودرا ؛ يصبح مفضوحاً مهتوك الستر، ويطرد من طائفته، ويصيبه خزي في الدنيا والآخرة، ،وعقابه نار جهنم، فإذا ولد له ولد منها، طرد من طبقة البراهمة، فلا

يتزوج نساء الشودرا،إلا رجال من الشودرا[1]

الطبقة الثانية

الكشاتريا وهم(المقاتلة) وهذه الطائفة خلقها الإله من ذراعيه، والذراعان هما مصدر القوة والبطش ومنهما خُلِقَ الكشتريون ووظيفتهم حماية البلاد ونظامها من الأعداء والمتربصين، وهؤلاء هم الجند ورتبة هذه الطبقة أدنى من السابقة، فهي تلي البراهمة، وهذه الطائفة تغذت عقولها بكتب الفيدا وغيرها من الكتب المقدسة، ويصلحوا أن يكونوا ملوكاً أو قضاة، أو حكاماً للناس، و تتولى هذه الطائفة الحفاظ على الأمن في البلاد، لذلك من الواجب أن يتميز أبناؤها بالكفاءة السياسية والعسكرية معاً بحيث يكون لهم في المجتمع الإقدام والمهابة، فهم حماة المجتمع والقائمون على إدارة شؤونه، والقائمون على أمنه، وعلى تنفيذ القواعد المختلفة التي تقتضيها الوظائف الاجتماعية الضرورية،[2] وما يُناط بهذه الطبقة يستلزم، كما قال البيروني، أن يكون (الكشتر) «مهيباً في القلوب، شجاعاً، متعظماً، ذلق اللسان، سمح اليد، غير مبال بالشدائد، حريصاً على تيسير الخطوب[3]

الطبقة الثالثة

الويشا أو الويشية : وهم طائفة (الزراع والتجار) وهذه خلقها الإله من فخذيه، وبما أن الفخذان عليهما اعتماد البدن، خلق الإله منهما الويشا ووظيفتهم حمل المجتمع ماديا، فيقومون بالتجارة والصناعة وعليهم يقع توفير الأمن الغذائي، وتأمين الرخاء والاستقرار المعيشي، وعلى التجار منهم معرفة قوانين التجارة ، ونظم الربا.

وليعلم الويشي جيداً كيف يبذر الحبوب، وليفرق بين الأرض الجيدة، والأرض الرديئة، وليطلع على نظام الموازين والمكاييل اطلاعاً كافيا.

وليعرف أجر الخدم، ولغات الناس، وما تحفظ به السلع، وكل ما يمت إلى البيع والشراء بصلة[4].

---

[1] راجع حضارة الهند د/غوستاف لوبون صـ ٢٩٥ ـ٣٠٠، و أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤: صـ ٦٠ وما بعدها ، والأسفار المقدسة ، د/ على عبد الواحد وافي صـ ١٩٣ وما بعدها. وقصة الحضارة، ول ديورانت، جـ٣ صـ٢٣ وما بعدها .

[2] المرجع السابق نفس الصفحات .

[3] تحقيق ما للهند من مقولة صـ٧٨ . و حضارة الهند د/غوستاف لوبون صـ ٢٩٥ وما بعدها ،

[4] ـ حضارة الهند د/غوستاف لوبون صـ ٣٠١ وما بعدها، وأديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤: صـ ٦٣ وما بعدها ، والأسفار المقدسة ، د/ على عبد الواحد وافي صـ ١٩٣ وما بعدها.

وتحاول هذه الطبقة رفع مستواها رويداً رويداً، وتعمل على تحرير نفسها من قيود الحياة ومشاغل الأيام، ولكنّها تظلّ خادمة للأمّة وللشعب، فهي المسئولة عن الإنتاج والرخاء[1]

الطبقة الرابعة

الشودر وهي أدنى طبقة، وهذه الطبقة خلقت من قدمي الإله لتكون أسفل طبقة في سلم المجتمع الهندوسي، وهي طبقة الخدم والعبيد، وواجبها الخدمة والعمل وإنجاز كل ما تكلف به من الطبقات الثلاثة العليا، يقول البيروني: " ويكون "شودر " يجتهد في الخدمة والتملق ، متحببا إلى كل احد بها ؛ وكل من هؤلاء إذا ثبت على رسمه وعادته نال الخير في إرادته"[2] وهذه الطبقة كما بين البيروني كل من قام بواجبه منهم نال الخير، أمّا إذا لـم يقم بواجبه ناله العقاب.

وعلى الشودرا أن يقوموا بإخلاص تام بخدمة هذه الفرق الثلاث البراهمة، والكشاتريا، والويشا.

ويمكن للقارئ أن يطلع على درجة الذل والمهانة التي كان يعيش فيها الشودري من خلال النصوص الواردة في شرائع منو ومنها:

أ – "يجب على الشودري أن يمتثل امتثالاً مطلقاً أوامر البراهمة سادة الدار العارفين بالكتب المقدسة، والمشتهرين بالفضائل، فترجى له السعادة بعد موته".

ب – " خدمة الشودري للبراهمة هي أفضل عمل يحمد عليه، ولا أجر للشودري على عمل آخر يقوم به".

"ويجب نفي ابن الطبقة الدنيا الذي تحدثه نفسه بأن يساوي رجلاً من طبقة أعلى من طبقته".

" وإذا ما دعاه باسمه أو باسم طبقته متشتماً أدخل إلى فمه خنجر محمي مثلوثُ النصل طوله عشرة قراريط".

"ويأمر الملك بصب زيت حار في فمه وفي أذنيه إذا بلغ من الوقاحة ما يبدي به رأياً للبراهمة في أمور وظائفهم"[3].

هذه هي الطبقات الإلهية في المجتمع الهندوسي وقد وصف البيروني حال هذه الطبقات بشكل لا يبعد عن المفهوم

1 ـ راجع آلهة في الأسواق ، د/ رءوف شلبي ، ص ١٢٦ ، ط الدار الإسلامية للطباعة ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٤ م .

2 ـ تحقيق ما للهند من مقولة صـ ٧٨.

3 ـ حضارة الهند د/غوستاف لوبون صـ ٣٠٢ وما بعدها

الوارد في "منوسمرتي"حيث يقول: "وهذه الطبقات في أوّل الأمر أربع، علياها البراهمة، قد ذُكر في كتبهم أنّ خلقتهم كان من رأس براهم... والرأس علاوة الحيوان، فالبراهمة نقاوة الجنس، ولذلك صاروا عندهم خيرة الإنس، والطبقة التي تتلوهم كشتر خُلقوا بزعمهم من مناكب براهم ويديه، ورتبتهم عن رتبة البراهمة غير متباعدة جداً، ودونهم بَيْش، خُلقوا من رجلي براهم، وهاتان المرتبتان الأخيرتان متقاربتان، وعلى تمايزهم تجمع المدن والقرى، أربعتهم مختلطي المساكن والدور"[1].

ولا يدخل المنبوذون في هذا التقسيم، ، وقوامهم قبائل وطنية لم ترتد عن ديانتها إلى البرهمية وهم من زنوج الهند وغيرهم من السكان الأصليين، مثل قبيلة "شانذالا"، وأسرى الحرب، ورجال تحولوا إلى عبيد على سبيل العقاب، ومن هذه الفئة التي كانت بادئ أمرها جماعة صغيرة لا تنتمي إلى طبقة من الطبقات، تكونت طبقة " المنبوذين "[2].

التشريع في الديانة الهندوسية:

الهدف الأسمى الذي يريد أن يصل إليه البرهمي هو الانطلاق والاندماج في برهما، والطريق للوصول إلى هذا الهدف يقوم على الصوم وتعذيب النفس، وتحميلها ألوانا من البلاء، ولقد كانت عقيدة الانطلاق والفناء في برهما هي المحور الذي تقوم عليه العبادات في الشريعة الهندوسية، فهم يعملون على تعذيب الجسد، وإرهاقه بالصوم والرياضات الروحية من الزهد والتقشف من أجل تعذيب الروح حتى تطهر من الشرور والآثام وهذه نماذج من التشريع في الهندوسية:

١ ـ الصوم عند الهندوس

الصيام عندهم كله تطوع، وليس فيه شيء مفروض، والصوم هو إمساك عن الطعام مدة ما ، ثم يختلف بحسب مقدار المدة، وبحسب صورة الفعل، فأما الأمر المتوسط الذي به تحصل شريطة الصوم؛ فهو أن يعين اليوم المصوم، ويضمر اسم من يتقرب به إليه، ويصام لأجله من الله، أو أحد الملائكة أو غيرهم[3]

1 ـ تحقيق ما للهند من مقولة، صـ : ٧٦ ومابعدها .

2 ـ وقصة الحضارة ، ول ديورانت، جـ٣ صـ ٢٤ .

3 ـ راجع تحقيق ما للهند من مقولة، صـ : ٤٨١ ، وانظر الأسفار المقدسة ، د/ علي عبد الواحد وافي صـ ١٨٩.

٢ ـ الصلاة:

ليس في الهندوسية صلاة جامعة أوجماعة؛ وإنما الصلاة كلها فردية، وتستلزم الصلاة الاستحمام، وارتداء الثياب النظيفة ذات اللون الأصفر، أو الأبيض، هذا مع غسل الأيدي والأفواه بالماء المعطّر، ويؤدي كلّ من الرّجل والمرأة الصلاة بهيئة مختلفة عن الآخر، فالرّجل يجلس متربعاً والمرأة تجثو على ركبتيها.

أمّا من ناحية الوقت، فقد جاء في منوسمرتي: أنهم يقيمونها في اليوم مرتين: صباحاً ومساءً، فصلاة الصبح، عنيه أن يؤديها وهو واقف على قدميه من انبلاج الفجر حتى مطلع الشمس، ويقرأها في صلاة المساء، وهو جالس، إلى ظهور النجوم، فصلاة الصبح بهذه الطريقة تُذهب كلّ ذنوب الليل، وصلاة المساء تُذهب كلّ ذنوب النهار.

وقد تشدّد الهندوس في أمر الصلاة، وقد نصت منوسمرتي على طرد من لـم يؤدّها ويصبح من المنبوذين (الشودرا)[1] .

٣ ـ الحج

الحج عندهم فرض على الكهنة فقط، أما على العوام فهو تطوع، ويكون للأماكن المقدسة التي يحج إليها الهندوس، مثل التماثيل والأنهار العظيمة التي يتطهرون فيها ، وخاصة نهر الغانج الذي يُعتبر أكثر الأنهار قداسة، حيث يقدمون القرابين، ويصلون أمامها، ويكثرون من الصوم والدعاء، يقول البيروني: "ليس الحج عندهم من المفروضات وإنما هو تطوع وفضيلة، وهو أن يقصد الحاج احد البلاد الطاهرة، أو أحد الأصنام المعظمة، أو أحد الأنهار المطهرة، فيغتسل بها، ويخدم الصنم، ويهدي إليه، ويكثر التسبيح والدعاء، ويصوم ويتصدق على البراهمة والسدنة، وغيرهم ، ويحلق رأسه ولحيته وينصرف"[2]

٤ـ الزواج

يتم الزواج باغتصاب العروس من أهلها، أو بشرائها أو بالاتفاق المتبادل بين العروسين، لكن هذا النوع الأخير كان ينظر إليه بعين النقد إلى حد ما، فقد ظن نساؤهم أنه أشرف لهن أن يشترين، وأن تدفع فيهن الأثمان، وأنه مما يزيد قدر المرأة أن يسرقها الزوج من أهلها.

---

[1] راجع آلهة في الأسواق د/ رءوف شلبي ، صـ ١٣٨ ، وما بعدها

[2] ـ تحقيق ما للهند من مقولة، صـ ٤٦١

وكان تعدد الزوجات جائزاً، ويشجعون عليه بين العلية، لأنه مما يسجل للرجل بالفخر أن يعول زوجات كثيرات، وأن ينقل إلى الخلف قوته.

وكذلك كان هناك تعدد الأزواج، فقصة "دروبادي" التي تزوجت خمسة إخوة دفعة واحدة تدل على وقوع تعدد الأزواج للزوجة الواحدة- في أيام الملاحم- حيناً بعد حين، وكان الأزواج عادة إخوة، وهي عادة بقيت في جزيرة سيلان حتى سنة ١٨٥٩م، ولا تزال متلكئة في بعض قرى الجبال، إلا أن التعدد كان في العادة ميزة يتمتع بها الذكر دون الأنثى، لأنه عند الآريين هو رب الأسرة يحكمها حكماً لا ينازعه في سيادته منازع، فكان له حق امتلاك زوجاته وأبنائه، وله الحق في ظروف معينة أن يبيعهم أو يرمي بهم في عرض الطريق[1] ، والهندوسية في كثير من الأحيان تبكر في مسألة الزواج ، فقد كان الأطفال يعقد لهم وهم يحبون وإذا مات الولد ـــ وكثيراً ماكان يموت الصبيان ـــ ترملت زوجته، وكثيراً ما كانت الزوجة تلقي بنفسها في النار لتحرق نفسها بنفس النار التي أشعلت ليحرق بها جثمان زوجها الميت.

٥ ـ إحراق الموتى:

الروح هي الأساس في المفهوم الهندوسي، والبدن ليس له اعتبار كبير ضمن نظام التناسخ، لذلك اعتمدوا نظاماً قاسياً مع البدن في الحياة، وإذا ما مات المرء فيكون في طقوسهم إحراق جثمانه، في كومة من خشب الصندل تحت إشراف الكهنة الذين يدهنون جسم الميت بالدهون والشحوم قبل الحرق وفي أثنائه، ويبقى أفراد الأسرة بجانب منصة الحرق أربعا وعشرين ساعة، وذلك ليجمعوا الرماد المتخلف من عملية الحرق ثمّ يوضع رماد الميت في أنبوب ويلقى هذا الرماد في نهر الغانج، النهر المقدّس عندهم[2].

والملاحظ في هذه الديانة معاداة الجسد ، فالجسد ما هو إلا مركب للروح فلا يستحق إكراما ولا اهتماما، بل تعذيبه وأشقاؤه غاية التحرر للروح من شقاء

---

[1] ـ راجع قصة الحضارة ، ول ديورانت جـ١ /صـ٦٨١.

[2] ـ راجع أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي جـ٤: صـ ١٠٧ وما بعدها، و الأسفار المقدسة ، د/ على عبد الواحد وافي صـ ١٩٢.

الحياة وتعاستها، وكل ذلك نابع من تصور الهندوس أن الجسد سجن لهذه الروح، وأنه بحاجاته يعيق تقدم الروح وانطلاقها، فلا بد من معاداته، وهذا لاشك يتنافى مع منهج الإسلام، وهنا يظهرعجز الإنسان عن أن يصنع نظاما يسير عليه، أو أن يضع تصوراً صحيحاً عن الكون والحياة، وتظهر عظمة الإسلام في كونه وحيا ربانيا ودينا سماويا، فالإسلام فرض على الأمة غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه،وهذا تكريم له بعد الموت ويأثم الذين لايفعلون ذلك بموتاهم ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ (عبس : ٢١) أي شرع دفنه في القبور، فلا يجوز إلقاؤه على الأرض،أو إحراقه، حتى ولو كان كافرًا فإنه يُواريه في الأرض، أي يُغيبه عن وجه الأرض بأن يواريه أي يحفر له حفرة ويلقيه فيها ويدفنه.

٦ . شهادة الزور:

شهادة الزور محرمة في الديانة الهندوسية " ويعد لشاهد الزور من النكال لقاتل البرهمي، أو لقاتل المرأة... سيهوى في نار جهنم رأسا على عقب المجرم الذي يشهد الزور عند سؤاله من قبل القضاء.

٧ . الربا:

الشريعة عندهم عينت مقدار معين من الربا. وهذا المقدار يختلف باختلاف الطوائف فما يؤديه البرهمي من الربا أقل مما يؤديه الكشتري، وما يؤديه الكشتري أقل مما يؤديه الويشي[١].

٨ — ومن عبادتهم تقديم القرابين للآلهة

وتشمل القرابين التي تحث الفيدا على تقديمها للآلهة أنواعا كثيرة ،من اللبن والحبوب والسمن واللحوم وعصير الفواكه، والنباتات، وفي أثناء تقديم القرابين يرتل الهنود الأناشيد الدينية، والأدعية المأثورة في الفيدا، ويؤدون رقصات وحركات تعبدية مصحوبة أحيانا بالموسيقى، والرقص عندهم عنصر أساسي من الشعائر الدينية[٢].

هذه هي أهم الشرائع في الديانة الهندوسية، وعندهم تشريعات أخرى لا يتسع المقام لذكرها من نظام قضائي ونظام الوراثة وغيره.

---

[١] — راجع حضارة الهند د/غوستاف لوبون ص ٣١١ : ٣١٤ وما بعدها

[٢] — راجع الأسفار المقدسة ، د/ على عبد الواحد وافى ص ١٩٢

خاتمة

١ — في القرن الخامس عشر قبل الميلاد كان هناك سكان الهند الأصليين من الزنوج الذين كانت لهم أفكار ومعتقدات بدائية..

٢ — جاء الغزاة الآريون مارين في طريقهم بالإيرانيين فتأثرت معتقداتهم بالبلاد التي مروا بها، ولما استقروا في الهند حصل تمازج بين المعتقدات تولدت عنه الهندوسية كدين فيه أفكار بدائية من عبادة الطبيعة والأجداد والبقر بشكل خاص.

٣— في القرن الثامن قبل الميلاد تطورت الهندوسية عندما وُضع مذهب البرهمية وقالوا بعبادة براهما.

٤ — اعتقدوا في قوى الطبيعة وعبدوها وتعددت الآلهة في هذه الديانة.

٥ — جمعت الآلهة في ثلاثة، و انتقلت فكرة التثليث من الفكر الهندي إلى الفكر النصراني بعد رفع المسيح عليه السلام.

٦ — اعتقدوا التناسخ، والحلول، ووحدة الوجود.

٧ — أنكروا النبوات.

٨ — المجتمع قائم على نظام الطبقات وهو لا يحقق العدالة بين أفراد المجتمع. بل قائم على الظلم واستبداد البراهمة بباقي الطبقات

وأخيراً الهندوسية ليس فيها عقيدة واضحة المعالم. وتشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأشجار والأحجار والقرود والأبقار... وإنكار النبوات والآخرة، إلى غير ذلك من أنواع الوثنية، التي تتنافى مع أبسط قواعد التوحيد، كما أن التقسيم الطبقي فيها يتعارض مع كرامة الإنسان، ويجعلها بعيدة عن الوحي الرباني.

المراجـــع

١ ـــ أديان الهند الكبرى د أحمد شلبي ،ط مكتبة النهضة المصرية، ط التاسعة ١٩٩٣ م

٢ ـــ الأسفار المقدسة، د/ على عبد الواحد وافي، طبع نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

٣ ـــ الاقتصاد في الاعتقاد : ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ م ط أولى

٤ ـــ الإلوهية وصلتها بالعالم في الديانة الهندية القديمة ، د/ ضياء الكردي، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢ م

٥ ـــ آلهة في الأسواق ، د/ رءوف شلبي ، ط، الدار الإسلامية للطباعة ، الطبعة الثالثة

٦ ـــ تاريخ الإسلام في الهند الشيخ عبدا لمنعم النمر ، ط دار العهد الجديد.

٧ ـــ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة : لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ، نسخة مصورة ط مجلس دائرة المعارف

٨ـــ تفسير القرآن العظيم ،المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، د.ت.

٩ ـــ الجامع الصحيح : محمد بن إسماعيل أبو عبدا لله البخاري الجعفي،نشر: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت،الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

١٠- حضارة الهند د / غوستاف لوبون ، طبع مطبعة در إحياء الكتب العربية،ط،أولى سنة ١٣٦٧ـــ ١٩٤٨م.

١١ - دروس في الفلسفة إبراهيم مدكور ويوسف كرم ،د،ت ،

١٢- ديانات الهند القديمة ، للشيخ أبو زهرة، ط ،دار الفكر العربي، د.ت .

١٣ـــ سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدا لله القز ويني، الناشر : دار الفكر – بيروت،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

١٤ ـــ الفرق بين الفرق عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور. دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٧٧

١٥ ـــ الفصل في الملل والأهواء والنحل المؤلف : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ت ٤٥٦

هـ الناشر : الناشر : دارالجيل ، بيروت، لبنان سنة ١٩٨٥ م

١٦ ـــ الفكر الشرقي القديم د/جمال المرزوقي ، الطبعة الأولى ، القاهرة سنة ٢٠٠١ م .

١٧- الفلسفة الشرقية د | غلاب مطبعة البيت الأخضر سنة ١٩٣٨م

١٨- قصة الحضارة ،(الهند جيرالها) ول ديورانت، ترجمة زكي نجيب محمود، ومحمد بدران، ط مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة٢٠٠١م

١٩ ـــ قضايا عقدية د/ محمد الأنور .ط، أولى، سنة ، ١٩٨٨ م .

٢٠ ـــ الملل والنحل للشهر ستاني، الناشر : مكتبة لبنان ، بيروت، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م، تحقيق : محمود خاطر.

٢١ ـــ الموسوعة الميسرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.

٢٢ ـــ النبوة والتنبؤ، أ د / طه الدسوقي حبيشي ، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٧ م .

الفهـــرس